المشرق

السنة الحادية والثلاثون — تشرين الثاني ١٩٣٣

ابه ابدا

الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤ـ١٨٣٢)

مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية من مجمع مار هرمزد ؟

بقلم القس يوسف نادر الانطوني الماروني

توطئة

من الثابت ان السيرة الرهبانيّة قد انتشرت في مختلف البلاد المشرقية انتشارًا سريعاً يذهل العقول . ففي ارض بابل وكلدو واثور قد بثّ مبادئها ماري أوون او اوجين احد رهبان دير تابنّة وتلميذ القديس بخوميوس الشهير (+ ٣٤٨) كما اشار الى ذلك المؤرخ اليوناني سوزومينوس[1] فكثر عدد تلاميذه وفاح اريج نسكهم حتى ان القديس

1) Sozomène. *Hist. VI*, 38, 1391

ايرونيموس[١] اضطرَّ ان يكتب بهذا الصدد: « انه لا يوجد بلاد بعد مصر نما فيها الرهبان اكثر من بلاد ما بين النهرين . »

وفي غروب القرن الرابع قد زارت تلك البلاد التقية سيلفيا[٢] وشهدت اديارها ومحابسها ودهشت بفضائل رهبانها ونساكها وعابداتها . ولا حاجة الى ذكر اسماء القديسين الاماجد افراط ويعقوب وافرام وتلاميذهم الابرار لانهم اشهر من نار على علم . لكن ما كادت السيرة الرهبانية تنمو وتزهو وتثمر اثمارًا شهية وفقًا لتعليم الكنيسة الكاثوليكية حتى ظهرت الشيعة النسطورية[٣] في القسطنطينيه ونفثت في بلاد ما بين النهرين وفارس سمومها القتّالة في المعتقد القويم وسببت مفاسد شتى في الآداب.

لا نكير ان المذهب النسطوري قد عرف رهبانًا كثيرين وذُكِرت سجاياهم الطيبة ومؤلفاتهم النفيسة في ادب اللغتين السريانية والعربية ، خاصة في القرنين السادس والسابع . لكن شتان ما بينهم وبين آبائهم الكاثوليكيين الاقدمين سواء في قواعد الايمان والآداب او في نتائجها العملية العديدة .

فشذوذهم عن الايمان المستقيم وتوارد الاضطهادات والمحاولات المذهبية العقيمة وتخييم الجهل المُطبق أوصلهم رويدًا رويدًا الى انحطاط عظيم يُرثى له . حتى امّحى ذكر الرهبانية تمامًا في اوائل القرن السابع عشر.

١ تجدد الرهبانية في بلاد ما بين النهرين

لكن الرب القادر على كل شيء اراد ان يقيم على اطلال اديار الرهبان النساطرة وآثارهم المبعثرة رهبانية كلدانية كاثوليكية تستمد من السدة البطرسية نفسها انوارها ومبادئها وقوتها ، وترتكز على صخرتها ، وتجدد امجاد الرهبان القديسين الاولين الذين بفضائلهم قدسوا البلاد الكلدانية الاشورية . فما بزغت شمس القرن التاسع عشر حتى اختار الرب لتلك الغاية الشريفة تاجرًا كلدانيًا

---

١) S. Hieronymus, *Comm. in Isaiam* V, 20

٢) *Sylviæ Peregrinatio*, 64 etc...

٣) راجع مقالتنا في هذا الموضوع في مجلة « المشرق» (٢٩ [١٩٠١] : ٦١٢، ٧٢٩)

كاثوليكياً من ماردين عُرف باستقامة معتقده وحسن تعبده وشدة نشاطه ، الا وهو الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤—١٨٣٢) . ففي سنة ١٨٠٨ وفقه الرب الى انشاء رهبانية كلدانية كاثوليكيـة في دير ربّان هرمزد بالرغم من الصعوبات الشديدة والاضطهادات العنيفة التي سبقت تأسيسها ، ورافقته ، وتبعته . لكنها ثبتت قوية بتدبير الرب وعونه . وقد ختم الاب المؤسس البار سيرته العجيبة بالاستشهاد فاصطبغت رهبانيته الجديدة بدمه الزكي الـذي اصبح بذاراً مباركاً لرهبان عديدين نشيطين في كرم الرب . وقد وصف ذلك كله وصفاً بليغاً حضرة القس اسطفان كجو على صفحات مجـلة « النجم » الغرّاء في اعدادهـا لسنتي ١٩٣٠ و١٩٣١ ، وفي حياة المؤسس التي نشرها على حدة في المطبعة الكلدانية بالموصل سنة ١٩٣٢

٢ً اين ابتدأ الاب جبرائيل دنبو ؟

ذكر هذا المؤرخ الناهض في كتابه الآنف الذكر (صفحة ٥) مـا يلي : « وانتشل جبرائيل من بين احضان والديه وذهب الى جبل لبنـان حيث دخل الى دير للموارنة في سنة ١٨٠٠ وكان عمره حينئذٍ ستاً وعشرين سنة . »

وفي ملخص سيرة الاب المـذكور التي نشرتها مؤخراً رسالـة قلب يسوع البيروتية [1] . « ذهب جبرائيل الى لبنان سنـة ١٨٠٠ ودخل في احـد اديار الرهبانية الانطونية المارونية . وكان وقتئذٍ ابن ستّ وعشرين سنة . »

بعد الدرس الطويل قد تحققنا ان الاب جبرائيل دنبو قد ابتدأ في دير مار اشعيا،مهد الرهبانية الانطونية المارونية ، بجوار برمانا.وهذه حقيقة تاريخية راهنة لا شك فيها نثبتها الآن بالبراهين الآتية :

١ً ان التقليد في الرهبانية الانطونية المارونية يفيد ان الاب جبرائيـل دنبو الكلداني قد ابتدأ فيها.

اخبرني بعض مشايخ رهبانيتنا (اخص بالذكر منهم حضرة القس سمعـان

١) رسالة قلب يسوع ١٤) [١٩٣٣] ١٤٢

مطار من جديدة كسروان المترهب منذ ٦٠ عاماً بنيف، وقدس الاباتي لويس عبيد النائب العام لدى الكرسي الرسولي، نقلاً عن الشيخ الجليل مؤرخ الرهبانية المرحوم الاباتي عمانوئيل بعبداتي (١٨٤٢–١٩٣٢)، الذي اخذ ذلك عن الرهبان رفقاء جبرائيل دنبو في الابتداء وغيرهم لا حاجة لذكرهم) انهم حين انخراطهم في سلك الابتداء، سمعوا قدماء الرهبنة يحدثونهم عن فضائل تاجر كلداني تقي الهمه الرب ان يترك بلاده، ما بين النهرين، واشغاله العالمية، ويأتي الى جبل لبنان ويبتدئ في ديرنا مار اشعيا. وبعد الابتداء، رجع الى وطنه حيث اسس لطائفته الكلدانية رهبانية كاثوليكية على شكل رهبانيتنا وقانونها.

وما هذا التاجر سوى الاب جبرائيل دنبو الذي لا تنطبق هذه الاوصاف على آخر سواه.

على اننا قلبنا كثيراً سجلّي الناذرين الاحياء والموتى في الرهبانية الانطونية المارونية فلم نعثر فيها على ذكر اسمه. وما ذاك الا لان سجلّ الاحياء قد خصص بالذين ابرزوا نذورهم فيها دون سواهم. نعم ان جبرائيل قد دخل في رهبانيتنا بين المبتدئين في دير مار اشعيا، لكنه لم ينذر فيها. فلذلك لم يسجل اسمه بين الناذرين. وهذا كما ترى برهان لا ردّ عليه.

ومثل ذلك ان مؤرّخ الرهبانية لا يدوّن في سجلّ الموتى الا اسماء الرهبان الذين ماتوا في حضنها. اذ اننا نجد بعض من نذروا دُوِّنت اسماؤهم في سجل الناذرين الاحياء، ولا نجد لها ذكراً في سجلّ الذين ماتوا في حظيرتها. وما ذلك الا لانهم لم يثبتوا في جسم الرهبانية الى النفس الاخير.

وكثيراً ما فتشنا بين اوراق مكتبة دير مار اشعيا وآثارها النفيسة لعلنا نعثر على شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل دنبو في الرهبانية الانطونية فلم نوفّق الى ضالتنا المنشودة. لكننا وجدنا بين سجلات هذا الدير لسنة ١٨٤٠، في ٩ كانون الاول، على عهد رئاسة القس ابراهيم نصر البسكنتاوي العامة، اسم راهب كلداني كان من الرهبان ساكني دير مار اشعيا يدعى «القس مرقس الكلداني.» ولربما قصد هذا «القس مرقس» لبنان وترهب في الرهبنة الانطونية المارونية محولاً بتل القس جبرائيل، وهو من معاصريه.

لكن لا يخفى على احد ما سببته من الاضرار الفادحة في الآثار التاريخية تلك الاضطرابات الدينية السياسية التي صبغت لبنان وجواره بدماء ابنائه المشرّدين تحت كل كوكب مكتفين بالسلامة غنيمة تاركين وراءهم الثوّار يدلعون السنة النار في بيوتهم واديارهم وكنائسهم ومكاتبهم ، اعني المذابح اللبنانية بين السنة ١٨٤٢ والسنة ١٨٦٠. ولسوء الحظ قد كان دير مار اشعيا ، مهد الرهبنة واهم مراكزها ، حيث عاش جبرائيل دنبو ، واقعاً في ميدان تلك الحوادث المشؤومة . لم يهب الثوار الجهلة ان يتركوا النار تذهب بتلك الآثار التي ذهب معها تاريخ الرهبنة جلّه.

فاذا لم يتوفر لدينا شهادة خطية تصرّح بابتداء جبرائيل في الرهبنة الانطونية المارونية فلا يحصل من ذلك حجة بان جبرائيل دنبو لم يأتِ لبنان ويبتدئ في الرهبنة المذكورة . فعوضاً عن المخطوطات لا يزال التقليد حيًّا في رهبانيتنا لاسيما لقربه منا.

٢ً وصدى هذا التقليد يتراجع بامانة بين ارجاء اديار رهبانية الاب جبرائيل نفسه على غير سابق علم ، وقبل دخولنا في هذا البحث ، كما رأيت في تأليف القس اسطفان كجو ورسالة قلب يسوع. وما هذا التوافق بين التقليدين الا حجة دامغة يجب احترامها.

٣ً وزد على هذا التقليد المستمرّ في الرهبانيتين الانطونيتين المارونية والكلدانية تقليداً آخر خارجاً عنهما سمعناه من مصدر ذي ثقة في رومية ايام دروسنا الكهنوتية العالية في مدرسة مجمع انتشار الايمان.

ذلك ان الطيب الذكر السيد رولّاري (Mgr. Rulleri) ، آخر كتبة اسرار مجمع نشر الايمان المقدس في الفرع الشرقي قبل انشاء مجمع الكنيسة الشرقية ، الخبير بتاريخ الطوائف الشرقية ورهبانياتها بما لديه من الآثار الرسمية في خزائن المجمع المشار اليه والتسليم المتواصل عن سلفائه في الوظيفة . قال يوماً امامنا :

« ان مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا وقد اخذ قوانينكم المثبتة . »

٤ً لما امّ الاب جبرائيل دنبو رومية السنة ١٨٢٧ ، وبقي فيها ثلاثة اعوام باذلًا الجهد للحصول على تثبيت الكرسي الرسولي لرهبانيته الحديثة ، قدّم كتاب قوانين الرهبنة الانطونية الذي اخذه معه حين ترك دير مار اشعيا بعد ابتدائه ، فيه طالبًا اعطا. هذه القوانين مثبتة ثانية لرهبنته الحديثة. وهذا ظاهر من ان الكرسي الرسولي اعاد طبع كتاب قانون وفرائض رهبنة القديس انطونيوس من مجمع مار اشعيا بالنصّ اللاتيني فقط ، ووزّعه على نيافة الآباء الكرادلة وحضرات المستشارين الرسوليين ليدرسوا تلك القوانين ويوفقوا بينها وبين اصول الطقس الكلداني الكاثوليكي . وما اقرب تلك الفكرة الى العمل اذ بعد قليل بان لهم الامر سهلًا فعملوا به.

فجاءت قوانين الرهبنة الكلدانية نسخة طبق الاصل عن قوانين الرهبنة الانطونية المارونية ، ما عدا ما كان منها خاصًا بالموارنة دون سواهم.

أُدخلت في القوانين الكلدانية شريعة النذور البسيطة المؤبدة التي لم تكن قد أُدخلت في الرهبنات القانونيَّة وقت تثبيت القوانين المارونيَّة ، كما قد أُعطي رهبان الاب جبرائيل ثوب (*Scapolare*) القديس مبارك ، تمييزًا لهم عن ثوب الرهبان الموارنة.

وفي دير مار يوحنا مارون في رومية العظمى التابع الرهبنة الانطونية المارونية ثلاث نسخ من هذه الطبعة اللاتينية الصرفة المحكي عنها قدمها السيّد رولّاري المذكور.

٣ً في اي دير من اديار الرهبنة الانطونية المارونية ابتدأ جبرائيل دنبو ؟

١ً في مهدها دير مار اشعيا المخصص آنذاك لقبول المبتدئين في الرهبنة المذكورة . فان سجل الناذرين يصرّح بذلك « دير مار اشعيا المخصص للمبتدئين » وذلك من السنة ١٧٤٠ الى السنة ١٨١٥.

وعند مجيء جبرائيل الى دير مار اشعيا ١٨٠٠ ، كان الاب مرتينوس الحاج بطرس رئيسًا عامًا.

٢ً زد على ذلك ان السيّد رولاري اكد الامر بقوله: « ان الاب جبرائيل

دنبو قد ابتدأ عندكم في دير مار اشعيا. »

فلم يبقَ اذاً من شك في ان البار جبرائيل قد تمرّس على مبادئ النسك الرهباني في الرهبنة الانطونية المارونية في اكبر اديارها واولها، دير مار اشعيا الراهب الحلبي، الواقع في جوار قصبة برمانا القريبة من مدينة بيروت.

٤ـ لماذا لم يبقَ جبرائيل دنبو في الرهبنة الانطونية المارونية؟

بعد ان انجز جبرائيل مدة سنتي الابتداء، وكان فيها قدوة صالحة لاخوته الذين لا يزالون حتى يومنا يذكرون باعجاب سمو فضائله، تردد في امره هل يستمر في لبنان او يعود الى وطنه. فكشف افكاره لرئيسه حسب امر القانون. فامره بالالتجاء الى الصلاة طلباً للاستنارة الروحية ففعل.

وكان احد الآباء العازاريين قاطني دير عنطورة يتردد غالباً الى دير مار اشعيا لعلاقات كانت بين الديرين، وذلك ان الرؤساء قد فوّضوا الى قدس الرئيس العام ارسال احد رهبانه ليقوم بارشاد راهبات دير الزيارة في عنطورة التابعات قانون القديس فرنسيس سالس مع بقائهنّ في الطقس الماروني. وكان هذا المرسل من جملة من استشارهم جبرائيل في دعوته، فاشار عليه ان يعود الى بلاده، وهناك يؤسس رهبنة كلدانية لفائدة الكنيسة في تلك الامصار. وكانت هذه ارادة الله كشفها لجبرائيل على يد هذا المرسل وشجعها وباركها الرئيس العام، وفرح بها الرهبان الذين زوّدوا اخاهم جبرائيل النصائح والارشادات مع كتاب القوانين وكتاب الصلوات الصغيرة المارونية القانونية المنقولة من الطقس الكلداني. وخرج من دير مار اشعيا تاركاً مهده الرهباني الى كلدو حيث دعاه الله ليكون رئيس رهبان كثيرين كما دعا ابراهيم قديماً من البلاد ذاتها الى الارض المقدسة ليكون ابا شعب عظيم[1]

فيا لها من نعمة سامية ظهرت في دير مار اشعيا، وتحققت في دير ربّان هرمزد! ابتدأ جبرائيل عمله الخطير مبتدئاً انطونياً مارونياً، واكمله راهباً

١) راجع سيرة الاب جبرائيل دنبو للنس اسطفان كجو صفحة ٥ و٢١

انطونياً كلدانياً، ليظهر الله بذلك ارادته ومسرته باتحاد هذه الطوائف الشرقية وتعاونها على عمل البر ونشر مملكة المسيح في شتى الوسائل. ان القديسين لا طائفة لهم بل هم اخوة من اين كانوا، وباي اسم تسموا هم جنود الله والكنيسة. هكذا كنت ترى جبرائيل الكلداني مكرماً معززاً محبوباً بين معلميه الموارنة. وهكذا كنت تراه كلدانياً جالساً ازاء الماروني اخوين يرضعان ثدياً واحداً لام واحدة في مهد واحد، فيا لسمو محبة رجال الله القديسين!

فبالحق ان مهد ونشأة الرهبنة الانطونية الكلدانية كان في حضن امها الرهبنة الانطونية المارونية في دير مار اشعيا حيث خرج جبرائيل دنبو بعد مدة امتحانه القانوني، حاملاً ليس فقط كتاب قانون وصلوات هذه الرهبنة بل عوائدها الصالحة وروحها المقدس وارشاداتها ونصائحها وترتيباتها الحسنة.

الخاتمة

هكذا دبرت العناية الالهية انْ يكون ابتداء جبرائيل في دير مار اشعيا الحلبي (+ ٤٤٠) تلميذ القديس اوجين ليكتسب مبادئ النسك الصادق تحت حماية القديس اشعيا ويجدد في بلاده الكريمة في مستهل القرن التاسع عشر السيرة الرهبانية التي كان قد نشرها فيها من قبل بنحو اربعة عشر قرناً معلم مار اشعيا القديس اوجين الجليل ويعززها بمتين التثبيت الرسولي الروماني ويصبغها بدمه الزكي المسفوك شهادة للايمان المقدس.

فاليكم يا انطونيي كلدو واثور من انطونيي لبنان الف تحية وسلام بالرب وما تجمع بينكم وبيننا وحدة الاسم فقط، بل وحدة الروح ايضاً، فضلاً عن وحدة العوائد والرسوم الرهبانية. وليكن مباركاً اسم « المبتدي الانطوني الماروني » « المؤسس الانطوني الكلداني » جبرائيل دنبو!

ومن الرب نطلب ان يتنازل ويرفع باقرب وقت عبده الامين المنثي البار على مذابح العالم.

الذكرى الذهبية

لاول قداس

في كنيسة بيروت السريانية

١٨٨٣-١٩٣٣

لحضرة الخورفسقفوس ميخائيل اليان سركيس السرياني

٢ (تتمة)

٧ النواب البطريركيون في بيروت بعد بناء الكنيسة

اولهم : الخوري افرام ايض الحلبي (١٨٧٨-١٨٨٦)

ابصر النور في حلب عام ١٨٤٩ وأقبل الى دير الشرفة عام ١٨٦٢ . وفي السنة التالية قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير . واعتكف على اقتباس الفضائل والعلوم الكهنوتية اربع عشرة سنة فاحرز منها نصيباً وافراً . وفي غرة السنة ١٨٧٧ رقّاه السيد اغناطيوس جرجس شلحت الى الدرجة المقدسة وفوّض اليه خدمة النفوس في بيروت وكنت اخدم قدّاسه في كنيسة الآباء الكبوشيين حتى ١١ تشرين الثاني ١٨٨٣ وفي عهده بوشر بناء الكنيسة عام ١٨٧٨ فكان يراقب العملة مدة خمس سنوات بنشاط لا يعرف الكلال . وهو الذي نضحها بالماء المبارك واحتفل فيها بالقداس الاول كما ذكرت .

وقد تولى هذا الاب الورع رئاسة دير الشرفة في فترات مختلفة وفي السنة ١٨٨٦ نصبه صاحب الغبطة نائباً عنه في القاهرة ، فخدم النفوس فيها بالغيرة والحكمة والامانة حتى توفاه الله عام ١٩١٣ . وتفرّد هذا الاب الجليل بمواعظه الكثيرة التي القاها في دير الشرفة وكنيسة بيروت والقاهرة ، وهي تنيف على المائة موعظة حذا فيها حذواً جديداً وافرغها في قالب يلذّ المطالع والسامع . ومن جملتها موعظته التي القاها يوم افتتاح الكنيسة وقد أشرنا اليها

على ان معرفة الجميل تضطرّني ان أبدي في هذا الفصل عواطف الثناء

لآباء الرهبنة اليسوعية الافاضل فان رؤساءهم الاجلاء اجابوا الى طلب حقارتي فعينوا كاهناً من كهنتهم يحضر صباح كل احدٍ وعيدٍ الى كنيستنا هذه الجديدة ويقرّب فيها الذبيحة الالهية.

وظلّ اولئك الاباء الافاضل يواصلون تلك الخدمة المقدّسة مدة تسع وعشرين سنة كاملة اعني منذ السنة ١٨٨٣ حتى ١٤ ايلول من السنة ١٩١٢ التي فيها اصدر الحبر الاعظم البابا بيوس العاشر براءته المشهورة في منح الاجازة لجميع المؤمنين كي يتناولوا القربان الاقدس في ايّ كنيسة كاثوليكية أحبوا. وكان الوسيط بيني وبين رؤساء الرهبنة اليسوعية في منال تلك المنحة المجانية حضرة صديقي الجليل الاب انطون صالحاني اليسوعي الذي ما برحت تربطني به عهود الولاء الاخويّ منذ ستين سنة . كافأهم الله تعالى باوفر الاجور في النعيم السرمديّ .

وما عدا الاب اليسوعيّ فقد كان يقيم القدّاس الالهي في كنيستنا البيروتية عينها المرحوم الاب يوسف فليفل المارونيّ فخدمها خمساً وعشرين سنة حتى لقي ربه في ٢٥ تشرين الثاني ١٩١٤ .

وكان يقام في كنيستنا البيروتية عينها منذ افتتاحها الى هذه السنين الاخيرة قداس حسب الطقس الكلداني . واوّل كاهن كلداني كان القس لويس اخرس. وخلفه الخوري يوسف طوبيا الذي جعل مركزه في الدار الاسقفية نيفاً وعشرين سنة اعني حتى السنة ١٩٠١ . وجاء بعده الاب عمنوئيل قشاً . وكنتُ انا الحقير اقوم بخدمة قدّاس هؤلاء الآباء الثلاثة كل واحد حسب طقسه اعني الطقس اللاتيني والماروني والكلداني .

ثانيهم : الخوري موسى سركيس الدمشقي

هو عمنا الذي تولى خدمة النفوس في كنيسة بيروت في عهد الخوري افرام ابيض وخلفائه . وُلد في دمشق عام ١٨٤٨ وشخص الى بيروت عام ١٨٦٠ مع شقيقه والدنا اليان سركيس ووالدتنا مريم يوسف قرواني . ذلك على أثر حوادث الشام المشؤومة . وفي السنة ١٨٦٣ قصد اكليريكية الآباء اليسوعيين في غزير وعكف على استحصال العلوم الكهنوتية اثنتي عشرة سنة . وفي ٢٨

تشرين الثاني ١٨٧٥ رقّاه السيد غريغوريوس يعقوب حلياني ، رئيس اساقفة دمشق ، الى المقام الكهنوتيّ . وولّاه خدمة الرعية فيها حتى السنة ١٨٨١ . فاقبل الى بيروت وانقطع الى خدمة ابناء الطائفة حتى ١٥ نيسان ١٨٨٣ فنصبه السيد اغناطيوس جرجس شلحت رئيساً على دير الشرفة . وحضر عام ١٨٨٨ المجمع الطائفي الذي عقده البطريرك الانطاكي وانيف احبار الملة في ذلك الدير منذ ٢٢ تموز حتى ١٣ تشرين الاول . ويشاهد رسمه مع السيد البطريرك والاحبار المشار اليهم في ذلك المجمع الشهير . وفي ٢٧ كانون الاول ١٨٩٣ انصرف الى القدس الشريف حيث تولى النيابة البطريركيّة حتى ايلول ١٩٠٣ ، فعيّنه السيد اغناطيوس افرام رحماني رئيساً لدير الشرفة . وفي ٢٤ تشرين الثاني ١٩١٢ رقّاه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفيّة على حمص وحماة وتوابعها. وانتقل الى جوار ربّه في ١٩ آب ١٩١٨ ودُفن في ضريح الآباء بدير الشرفة.

وممّا لا يسعني السكوت عليه انه رحمه الله تعالى كابد مزيد العناء والتعب مدة ثلاثة اعوام في سبيل بناء المركز الطائفي في القدس (١٩٠٠—١٩٠٣) وما عدا ما تبرّع به على ذلك المعهد المبارك من المال الذي بلغ زهاء مائتي ليرة ذهبية ، فقد كان يناظر العملة اثناء الحرّ اللافح والبرد القارس حتى انجزه. وهو الذي ابتنى في دير الشرفة بهو الاستقبال وبيت المنام . سكب الله على ضريحه سيول الغفران وعاءله بالرحمة والرضوان.

ثالثهم : الخوري روفائيل بردعاني الماردبني (١٧٨٧—١٨٩٢)

نُصب هذا الاب الفاضل نائباً بطريركياً في بيروت عام ١٨٨٧ وخدم الرعية مدة خمس سنوات بما امتاز به من الحصافة والغيرة والامانة. وكان يعاونه تارة عمنا الخوري موسى ، وطوراً الخوري يوحنا حمصي ، وآونةً القس بطرس حدّاد الانطليّ .

وكان مولد الخوري روفائيل في ماردين عام ١٨٥١ . ويتّم دير الشرفة عام ١٨٦٦ وفي ايلول١٨٦٧ ارتحل الى رومية وقرأ العلوم الكهنوتية في مدرسة البروبغندا ثم انطلق الى ماردين . وارتقى الى الدرجة المقدسة عام ١٨٧٦ بوضع يد السيد ايونيس ايليا عتمة مطران القلّاية البطريركية . وفي السنة ١٨٨٧

استدعاه الى حلب غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت ورقّاه الى رتبة خورفسقفوس وسمّاه نائباً عنه على ابرشية بيروت . وكان في عداد الآباء الذين تولوا فحص الفناقيث ܦܢܩܝܬܐ اعني الكتب الفرضية في دار القصادة الرسولية ببيروت وهيأوها للطبع في مطبعة الآباء الدومنيكيين في الموصل.

وفي السنة ١٨٩٣ عاد الخوري روفائيل الى ماردين، وتوجه الى سعرد لخدمة النفوس، وناله ما ناله من الغوائل والاهوال اثناء ثورة الاتراك على النصارى عام ١٨٩٥، فاضطرّ الاب روفائيل ان ينهزم الى ماردين، وظلّ يخدم النفوس فيها وفي ضواحيها حتى السنة ١٩١٥ . فاستاقه الاتراك في عاشر حزيران من السنة المذكورة مع السيد اغناطيوس مالويان، مطران الارمن الكاثوليك، ومع عدد غفير من الكهنة واعيان الملل الى ضواحي ديار بكر وانزلوا بهم ضروب الاعذبة الفادحة وفتكوا بهم كافة فتكاً ذريعاً وكان عددهم اربعمائة وسبعة عشر[١]

وكان هذا الاب الشهيد خبيراً بلغات شتى، متضلعاً من الفلسفة واللاهوت مشهوراً بفن الخطابة . وقد نقل عن الايطالية الى العربية كتاب « منّ النفس » تأليف الاب بولس سنيري اليسوعي في ١٣٤٠ صفحة كبيرة وهيّأه للطبع . وكان يتأمل به كل يوم مدّة اربعين سنة كما أثبت في مقدّمته . وترجم كذلك الى العربية شرح الكتاب المقدّس من سفر التكوين الى نبوءة صفنيا في ٢٣٤٠ صفحة كبيرة بعبارة فصيحة . الا انه لم يتوفق في طبع الكتابين المذكورين المحفوظين في يومنا لدى حضرة الخوري اسحق ارملة الموقر.

رابعاً : السيد المطران ثيوفيلس انطون قندلفت (١٨٩١–١٨٩٨)

حضر هذا الحبر النبيل الاحتفال بتدشين كنيسة بيروت عام ١٨٨٤ كما ذكرنا وكان يومئذ كاتباً لاسرار غبطة السيد اغناطيوس جرجس شلحت البطريرك الانطاكي . وفي ٢٠ حزيران ١٨٨٦ رقّاه البطريرك المومأ اليه في كنيسة بيروت الى الكرامة الاسقفية على طرابلس ولبث موازراً غبطة السيد

---

١) اطلب كتاب « القصارى في نكبات النصارى » لمؤلفه الخوري اسحق ارملة (ص ١٨٤–١٩٨)

البطريرك في حلب حتى السنة ١٨٩١ فعينه نائباً عنه في بيروت . ومن جملة الآباء الذين تولّوا خدمة الرعية البيروتية في عهده نذكر الاب ميخائيل بخّاش[١]، والاب يوحنا حمصي ، والاب بولس بخّاش ، والاب افرام مصري.

وقد احرزت كنيسة بيروت ، في عهد السيد انطون قندلفت الطيب الذكر ، مجدًا مؤثلًا اذ كان يقيم فيها الاحتفالات الطقسية ويلقي العظات الدينية على المؤمنين الذين كانوا يتقاطرون الى الكنيسة لاستماع عباراته البليغة والاستفادة من براهينه المبتكرة السديدة . والتلذذ بكلام الله الحي . ويعودون الى بيوتهم وصدورهم ملأى بعواطف الايمان المقدّس . أمّا ناديه فكان يغصّ بالاعيان والعلماء الذين كان يخلب اذهانهم بحديثه . وامتاز رحمه الله بالتضلّع من المسائل الدينيّة والشرعية . فكان يحلّ المشاكل بفطنته وحكمته . وصنّف كتباً شتى أخصها كتاب مواعظه الذي سمّاه « عقود الجمان في شرح قانون الايمان » ونشره عام ١٨٨٣ في ثلاثة مجلّدات . وكتابه الثاني الذي سمّاه « القلادة الدرّية في شرح الوصايا العشر الالهية » الذي نشره شقيقه السيد يوليوس باسيل قندلفت عام ١٩٠٠. و « السراج الوهّاج وهو منهاج لصيغة سنّة الزواج » ، و « الرأي الامين في حلّ بعض المشاكل الزواجيّة عند الشرقيين » ، و« القيثارة الشجيّة في التسابيح الالهية » الى غير ذلك من الكتب المفيدة.

وفي عهد نيابة السيد انطون قندلفت تبرّع الكنت شرل كابل الباجكجي الفاضل على كنيستنا البيروتية في ٢٨ شباط ١٨٩٢ بستة شمعدانات كبيرة جميلة . وشيّد ابناء الطائفة الافاضل الدار الاسقفية . واكملوا بناء المدرسة التي ازدهرت ازدهارًا يُذكر بهمّة القس الياس مصري الدمشقي الذي علّم فيها ستة اعوام.

خادمهم : الخوري سليمان تبّوني الموصلي (١٨٩٨-١٩٠٢)

زهد هذا الاب الفاضل في الحطام الدنيا ، وأقبل في شرخ شبابه الى دير الشرفة في ٥ كانون الاول١٨٦٨ ، وقضى ثلاث سنوات معتكفاً على استكمال الفضائل المسيحية والتزيد من العلوم الكهنوتية . وارتقى الى الدرجة المقدّسة في ٨ ايلول ١٨٧٢ . وانطلق بامر السيد البطريرك مار اغناطيوس فيلبّس

٢) هو السيد اقليميس ميخائيل بخّاش الذي ارتقى الى مطرانية دمشق في ٣ حزيران ١٩٠٠ .

عركوس الى ديار بكر وماردين ، وخدم فيهما ابناء الملة زماناً ، ثم توجه الى طور عبدين فأبدى هناك من المساعي الطيبة ما برهن عن شجاعة نفسه وقوة عزيمته اذ كان يقتحم كل خطر في سبيل تعزيز الايمان الكاثوليكي المقدس . ثم سيّره السيد البطريرك الى دير الزور فانشأ فيها كنيسة على اسم العذراء مريم عام ١٨٧٣ وحبس لها الاوقاف وخلّف فيها ذكرًا طيباً ما برح الاهالي يتغنون به حتى اليوم. ثم انتقل الى النبك وساس الابرشية بمثابة نائب بطريركي حتى السنة ١٨٩٧ فرقّاه السيد اغناطيوس بهنام بني الى رتبة خورفسقفوس ونصبه وكيلاً عنه في بيروت ، فخدم الرعية خمس سنوات بجدّ واجتهاد . وبعد هذا عاد الى الموصل وطنه ، وثابر على اعمال التقوى حتى فارق الحياة في ٥ حزيران ١٩٢٤ بشيخوخة صالحة. واشتهر خصوصاً بانقياده الى اوامر رؤسائه وخبرته بالامور الدنيوية . وله في ذلك مواقف مشهورة يردّدها كل من عرفه الى هذا اليوم.

سادسهم : الخوري يوسف اسطنبولي الماردني (١٩٠٢–١٩٢٠)

قام بامر النيابة بعد الخوري سليمان تبّوني فخدم الرعية ثماني عشرة سنة كان في اثنائها امثولة شريفة في الفضيلة والفضل ولاسيما في التضحية حبّاً لتعزيز الابرشية . وامتاز بفخامة الصوت فقام بخدمة السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني في جميع الاحتفالات الطقسيّة التي كانت تجري في كنيسة مار جرجس . وساعده في خدمة النفوس الاب افرام مصري الدمشقي اثنتي عشرة سنة ، والاب روفائيل جبري الموصلي (١٩٠١–١٩٠٣) الذي عُيّن في السنة ١٩٠٣ نائباً بطريركيًا في القدس الشريف ثم في الاسكندرية . ومن جملة الآباء الذين خدموا ابرشية بيروت في عهد الخوري يوسف اسطنبولي اذكر الاب عبد المسيح زهر والاب جبرائيل نجّاش الحلبي (١٩١٦–١٩١٩) الذي انشأ اخوية الوردية للنساء في ٣٠ نيسان ١٩١٧ واستحصل من فضل الكرسي الرسولي المقدس الانعامات الشتى للمشتركات فيها . وقد اجاب الاب الاقدس الى طلبته فمنح الغفران لكل من يقرّب الذبيحة الالهية على مذبح سيدتنا مريم العذراء الجليلة في كنيسة بيروت.

ومن جملة الآباء الذين خدموا الرعية في تلك الاثناء الاب يوسف بجودة

البغدادي (١٩١٦–١٩١٩) ، والاب يوحنا عزو الموصلي (١٩١٩–١٩٢١) وكلاهما توليا تعليم الاحداث ايضاً في المدرسة الطائفية.

على ان رؤساء الملة المتبرطين قدروا للخوري يوسف اسطنبولي الجليل اتعابه في سبيل الانفس فرقاه السيد اغناطيوس بهنام بني الى رتبة خورفسقفوس في كنيسة ماردين عام ١٨٩٣ ، وجاد عليه الحبر الاعظم البابا بندكتس الخامس عشر بلقب مونسنيور برتبة حاجب بابوي اجابة الى طلب السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني . وقد أبدت له الطائفة البيروتية عربون الاخلاص والاقرار بمواردفه فاحتفلت بيوبيله الكهنوتي الفضي عام ١٩٠٨ ، ويوبيله الكهنوتي الذهبي عام ١٩٣٢ . وكان ميلاده في ماردين عام ١٨٦٠ وزاول العلوم الكهنوتية في دير الشرفة (١٨٧٦–١٨٧٨) وفي اكليريكية الآباء اليسوعيين ببيروت (١٨٧٨–١٨٨٢) . وفي ١٣ ايار ١٨٨٣ ارتقى الى الرتبة الكهنوتية وخدم النفوس في ماردين ومديات بطورعبدين وفي بيروت وطرابلس

وبمساعي هذا الاب الغيور وقفت عام ١٩١٨ مريم اسحق موصلي لكنيسة مار جرجس والفقراء داراً بلغت قيمتها الف ليرة ذهبية على ان يقدّس في هذه الكنيسة كل سنة اثنا عشر قداساً لراحة نفسها رحمها الله تعالى.

سابعهم : الخوري افرام حيقاري السردي (١٩٢١–١٩٣٣)

تولى النيابة البطريركية في بيروت في نيسان ١٩٢١ فافرغ الجهود الطيبة في خدمة ابناء الطائفة وصرف المساعي في انشاء بالتصيب خيري عام ١٩٢٨ انفق ريعه البالغ مائة وخمسين ليرة ذهبية في ترميم موقه كنيسة بيروت وتعبيد فنائها . وسعى كذلك في انارة الكنيسة بالاضواء الكهربائية على الطراز الحديث . ومما نذكره له بالشكر انه بذل قصي وسعه في مساعدة السريان المهاجرين الذين قدموا الى بيروت من اطنه واورفا منذ السنة (١٩٢١–١٩٢٣) ، فانه اتفق مع رئيس الجمعية الخيرية شقيقنا يوسف اليان سركيس ، ومع معاونيه الفاضلين الفيكنت فيليب دي طرازي والخواجا نجيب موصلي وحصلوا لهم ما كفاهم لسد حاجتهم من الطعام والكسوة ، وقبلوهم جميعاً ضيوفاً كراماً في القلاية الاسقفية اثناء شتاء السنة ١٩٢٢ وكان عددهم يربو على الخمسمائة

فشغلوا غرف الكهنة والردهة والمدارس مدّة اربعة اشهر وافرغ الخوري افرام ومعاونوه الوسع في اجتذاب اغابهم الى حضن الكنيسة الكاثوليكيّة المقدّسة فاحرزوا باتعابهم المبرورة افضل ذكر واعظم أجر عند الله تعالى. وعلاوةً على ذلك كلّه فقد جدّ الخوري افرام مع الفيكنت فيليب والخواجا نجيب المشار اليها في جمع طائفة من المال عام ١٩٢٤ من ابناء الملّة وغيرهم واشتروا ارضاً فسيحة ابتنوا فيها بيوتاً خشبيّة لايوائهم واطلقوا عليها اسم «حارة مار يعقوب».

ومن اعمال الخوري افرام التقويّة تجديده اخويّة الورديّة للنساء، وانشاؤه عام ١٩٣٠ اخوية ثانية لهنّ تيمّناً باسم القديسة تريزيا الطفل يسوع. وقد انضمّ اليهما كلتيهما عدد صالح من السيدات الورعات يجتمعن صباح كل اثنين الى الكنيسة يحضرن الذبيحة الالهية ويتلون فرض السيدة العذراء المغبوطة ويسمعن من فمه كلام الحياة ويتقرّبن من سرّ المحبة.

وقد عرف آباء الطائفة المغبوطون للخوري افرام فضيلته وفضله ولاسيما غيرته على خلاص النفوس. فانه بعد مزاولته العلوم الكهنوتيّة في اكليريكية الآباء الدومنكيين بالموصل احدى عشرة سنة وارتقائه الى الدرجة المقدّسة في ايار ١٩٠٤ وهو في السنّ الثالثة والعشرين انتدبه السيد البطريرك مار اغناطيوس افرام رحماني الى بيروت وجعله معاوناً لكاتب اسراره، ثم عيّنه عام ١٩٠٥ خادماً للنفوس في زحلة. ثم فوّض اليه النيابة البطريركيّة في النبك عام ١٩٠٨ وتفقّد شؤون القرى المجاورة لها. وفي السنة ١٩١٢ ولّاه رئاسة دير الشرفة ورقّاه عام ١٩١٣ الى رتبة خورفسقفوس واستصحبه الى رومية واستحصل له عام ١٩١٩ من مكارم الكرسي الرسولي المقدّس رتبة مونسنيور وحاجب بابوي. وفي السنة ١٩٢١ عيّنه نائباً في كنيسة مار جرجس ببيروت كما ذكرنا. وما برح الى هذا اليوم قائماً بالنيابة بالحزم والغيرة والتفاني.

هذا ما تحرّيت اثباته في هذه «الذكرى الذهبية» متوسلاً الى يسوع المسيح فادينا الالهي ان يكافئ بالمثوبة الصالحة جميع من تعب في هذه الكنيسة ومَن عليهم وعليّ بالتمتع بمشاهدته السعيدة في كنيسة الابكار المكتوبين في السماوات (عبر ١٢: ٢٣) الذين «يعبدونه نهاراً وليلاً في هيكله» (رؤيا ٧: ١٥) آمين.

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف مؤلف تاريخ
الاسر الشرقية وعضو المجمع العلمي العربي

٣

الشيخ احمد الغر[١] البيروتي

هو من اسرة سنية اسلامية في بيروت . ولد فيها سنة ١١٩٨ ﻫ (١٧٨٣م) وتوفي سنة ١٢٧٤ ﻫ (١٨٥٧ م) . ولم يذكره العلامة المرحوم الاب لويس شيخو اليسوعي في « تاريخ ادباء القرن التاسع عشر » وقد مرت ترجمته في مجلة المشرق لهذه السنة (٣١ : ٤٠١) فازيد عليها الآن بعض ما عرفته عنه غير ما ذكر هناك :

من اسرة الشيخ احمد نسيبه الشيخ علوان الغرّ ، قاضي بيروت ايضاً ، وقفتُ له على قصائد ومقاطيع في بعض المجاميع المخطوطة منها قوله من قصيدة بعنوان «يا حبّ» وهي ثلاثون بيتاً كرر في اول كل بيت كلمة ذلك العنوان ، ومنها في القضاء قوله :

يا حبُّ ، كم ساءلوا «الافتا» بسفك دمي   اجبتَ بالحلّ في قتلي وافتاني
يا حبّ ، يا «حاكم» في قتل مدنفه   وصبّه ، أصغ لي ، واقبل «لدعواني»
يا حبّ ، لي «بيّنات» ان اقدمها   لحاكم العشق ، ان العشق اشقاني ،
يا حبّ ، حزني ، انيني، سكرني، ولهي ،   رقي ، سهادي ، وتعذيبي ، واخفاني
يا حبّ ، ذلي ، سكوني، لوعتي ، حرقي ،   ذوبي ، انتحالي ، وافرادي ، وارواني
يا حبّ ، وجدي، جنوني ، صبوتي، ارقي ،   شجوي ، فناني ، غمومي ثم اغماني

---

١) ويقال الاغرّ ايضاً كما رأينا في مظانّ كثيرة .

يا حبّ ، لي بينات ان تكن قبلت ، فاحكم بوصلي وعزي بين احباني
يا حبّ . او ان تكن في شرعكم نفيت ، فاحكم بقتلي وتشتيتي واشفاني

وقوله من قصيدة ثانية :

حكّمتم في فؤادي طبق ما أمروا ، جاروا به ، غيرهم لم ارضَ ، او عدلوا
م سادتي ، وانا في الحب عبدهمُ ، فما اعتراض بما في عبدهم فعلوا

وقوله من قصيدة اخرى مختتماً :

وما تشرف في سامي مديحك « علوان الاغرّ » بنظم الدر في الكَلِمِ
وما بشرتنا غالي صفاتك قد غالى القريض بمسك البدء والمُختتمِ

وسنة ١٨٧٣ في نيسان توفي الشيخ مصطفى الغرّ بن السيّد احمد المذكور ، قاضي بيروت ومفتيها قديماً ، عن نحو ٧٠ سنة ، وكان من اعضاء مجلس الادارة في بيروت ، وخدم الحكومة نحو ٣٠ سنة .

اما ما نعرفه عن الشيخ احمد الغر المذكور فهو :

انه كان شاعراً وله منظومات منها تخميسه للبيتين في عكاء . وهو :

عكاء شرّ للبرية قد سرى اذ ذاق ساكنها الهلاك الاكبرا
قد اخبر الشعراء صدقاً حيدرا « قالوا بأن جنتاً تحت الثرى
مالي اراها فوق عكا تضرمُ »
دار الشقاوة ليس فيها نعمةٌ بل ليس في قلبي ذويها رحمةٌ
فخذ الدليل وانه لك حجةٌ « لو لم تكن دار الشقاوة عكةٌ ،
ما اضطرمت بالشرار جهنم »

وكانت بينه وبين شعراء عصره مساجلات ومراسلات منها قول المعلم نقولا الترك في مدحه بديوانه المخطوط عندنا (ص ٢٦٨)

فاجابه الغرّ بهذه القصيدة سنة ١٢٣٢ ﻫ (١٨١٦ م) قال في مطلعها (ديوان الترك ، مخطوطتنا ، ص ٢٦٩) :

الطرف خمارنا ، والريق صهباء ، والثغر كاس الطلا يشفى به الداء

الى ان قال :

كم بتّ من هجر « بنت العُرب » في غسق وكم بدت لي « بنت الترك » اضواء
هو الذي لا يجارى في بلاغته وهل تجاري جواد الخيل عرجاء

«نون» النبالة، «قاف» في القريض كذاء «واو» الوفاء، و«لام» اللطف زهراء
وبعد ذا «الف» جاءت لتكملة فاحفظ «نقولا» لنا في الفكر اسراء

وختمها بقوله :

ودم بعيش هنيّ ما بدا قمرٌ وما تغنت على الافنان ورقاء
ما احمد الغرّ يشدو ، وهو ينظمها ، «الطرف خمارنا والريق صهباء»

واما قصيدة نقولا الترك في الغر فمنها (ديوان الترك مخطوطتنا ص ٢٦):

خوّلت سدتك المنيفة عزة حدت معالي افقها الجوزاء
ورقيت بالفقه المنضّد رتبة لم ترقها من قبلك القدماء
يدروننا بكم غدت تحدى الثناء وتجلّك الصغراء والكبراء

وختمها بقوله :

فسقى الحيا سنة انار ثناءهُ فهي التي تأريخها الغراء
١٢٣٢ هـ

وقال الشيخ ناصيف اليازجي يمدحه من قصيدة :

شاعر ينظم القوافي عقودًا دونها في الرؤوس عقد الاكلّه
وهو قاضٍ ، يقوم بالقسط بين الناس قد احكم الخطاب وفصله
راحمٌ، في سوى القضاء، رؤوفٌ يبتغى عفوه ، وينصر عدله
صحّ نحو ابن حاجب عنده ، واعقل خطّ ابن مقلة اي عقله
والفتاوى لاحمدياته الغرّاء لا خيريات صاحب رمله (١
طالما طال فاصلًا بيراعٍ تشتهي ان تكون كلٌّ نصله
سوّد الطرس فاستنار ، فذاك سواد العيون يحدي الاضلّه
يا امام الكرام في خير محراب من الحبر خيرهُ لك قبله
انت ندب لهُ التقى سنّة ، والعدل فرض ، والله يعلم نفله

وقال يمدحه من قصيدة ثانية :

خذ ما اردت سوى اغرّ محجّلٍ القى به الشيخ الاغرّ معجّلا
وارى لطائفه التي نحبت بها الشعراء ابيات القريض تغزلا
العالم الصدر الكبير ، العامل البدر المنير ، اللامع السامي العلى
اقوالهُ دررٌ تقلّدها النهى ، وفعاله غُررٌ تقلّدها الطُلى
اجرى من البحر الغرمرم لجة ، والذّ من سلسال دجلة منهلا
واشدّ من زهر الحدائق نضرة ، واجلّ من زهر الكواكب منزلا
يمشي، وقد كثر الوقوف امامه ، فردًا يجرّ من المهابة جحفلا

---

١) يريد «الفتاوى الخيرية» للفقيه الشهير خير الدين الرملي من اهل القرن التاسع للهجرة .

واذا اشار الى الكتيبة اجفلت، فكأن من سمر الذوابل افلا
هو يشغل الاقلام، وهي بوصفه في الناس قد شغلت فكانت اشغلا

الى غير ذلك مما نقتصر منه الآن على هذه العجالة المؤلة على ما لهذا الفقيه من الشهرة رحمه الله.

٤

الشيخ شرف الدين القاضي الدرزي

اخبرني كثير من شيوخ الطائفة الدرزية الكريمة، ومنهم فضيلة النابة الشيخ حسين حماده، شيخ العقل الحالي، ان «آل القاضي» هم اقدم القضاة في طائفتهم، وهم ثلاثة فروع:

اولهم: آل القاضي الذين قضوا في زمن الامراء التنوخيين، وبقيتهم الآن في بيصور، وهم الفخذ الثاني منهم. ولقد اندثر اصلهم الذي هو الفخذ الاول حتى لم نعرف ان لهم بقية. ومنهم المشايخ آل امين الدين، وناصر الدين في عبيه والسمقانية وكفرمتى وهؤلاء جميعهم من ذرية الشيخ بدر الدين العنداري، خال آل تنوخ امراء الغرب. واشتهر من قضاتهم المشايخ عبد الله وبدر الدين وزين الدين الذي بنى «جسر القاضي» على نهر الصفا بين مقاطعتي الشحار والمناصف[1] وهو باق الى يومنا بهذا الاسم.

ومن قضاتهم الشيخ محمود بن منصور الذي كتب على ظهر حجة وقف ما نصه:

---

١) قيل ان السبب في بناء ذلك الجسر هو: ان القاضي زين الدين المذكور كان يبني طاحونًا في ذلك المكان. وبينا هو يراقب الفعلة رأى صبيةً قروية درزية تريد ان تجتاز النهر الى الجانب الثاني. وكانت المياه متراكمة والنهر هائجًا. فشمرت عن ساقيها ومشت في النهر. ولما توسطت المياه اضطرت الى ان تشمّر اثوابها لئلا تتبلل، فضحك الفعلة من منظرها. فوبّخ القاضي الفعلة واوقفهم عن بناء الطاحون، وامرهم ان يشيدوا الجسر فوق النهر للعبور عليه. واستدعى فعلة آخرين لسرعة العمل. ونصب له سرادقا بقي فيه واحدًا واربعين يومًا يحثّ الفعلة على الاسراع. ولم يبرح مكانه حتى تم بناء الجسر فنسب اليه وذلك سنة ٩٦٣ ﻫ (١٥٥٥ م). وكان قد تزوج ابنة السيد عبدالله التنوخي من عبيه، فابتنت حجرة لها في بيصور تعرف باسمها وذلك سنة ٩٦٦ ﻫ (١٥٥٨ م)

« الحمد لله وحده – عرضت علينا هذه الحجة الشرعية فرأيناها محررة مكفية وعند المخاصمة بين حضرة ابن محنا بونجم يوسف ناصر الدين وولده ناصر الدين قدم ناصر الدين شهود عدول بحضور والده وشهدوا بصحة هذا الوقف فيلزم العمل بها شرعاً ويمنع من البيع والتفريط قطعاً والحالة هذه والله اعلم »

الختم	حرره العبد الحقير
يا رب يا غفور ارحم	محمود بن منصور
عبدك محمود ابن منصور	م

ومما في حوزة آل ناصر الدين في كفرمتى صك مشترى احد اجدادهم :

«الجناب العالي المكرم الشيخ جمال الدين بن المرحوم الجناب العالي المكرم الشيخ شرف الدين من قرية عين دارة الساكن يومئذ بقرية كفرمتا من قرى شحار غرب بيروت المحروسة من يد يزبك بن حمزة من كفرمتا ثلاثة اصول زيتون بثلاثة غروش وثلث من الفضة الجيدة المدبية المتعامل بها يومئذ بدمشق المحروسة . . . وذلك في شهر صفر سنة ١٠٨٠هـ(١) وشهد بذلك وكتبه عبد الوهاب ابن ابا (كذا) الجد وشهد بذلك في تاريخه وعنه باذنه وحضوره عبد الملك ابن محمد» (انتهى ملخصاً بالحرف)

وثانيهم : آل القاضي الذين خدموا الامراء المعنيين قضاة . ومسكنهم جباع الشوف ، ثم المختارة . واشتهر منهم المشايخ زهر الدين ، ونور الدين ، وعلم الدين ، وآخرهم الشيخ قبلان حمو الشيخ علي جنبلاط وبوفاته انقرضوا.

وثالثهم : آل القاضي الذين قضوا للامراء الشهابيين ومسكنهم دير القمر ، ودميث ، والسمقانية . وبقيتهم الآن في القريتين الاخيرتين ، ونسبتهم للشيخ بدر الدين العنداري الآنف ذكره.

واشتهر من قضاتهم الشيخ عبدالله(٢) بزمن الامير حيدر الشهابي،ثاني حاكم في لبنان منهم (١٧٠٦ ١٧٣٢ م) والشيخ محمد والد الشيخ شرف الدين الآتي ذكره بزمن الامير ملحم الشهابي (١٧٣٢–١٧٥٤ م) ثم الشيخ شرف الدين

١) الموافقة لسنة ١٦٦٩ م

٢) سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) كان الشيخ عبدالله القاضي مقيماً في يصور وكان خاطر الامير بشير الكبير متكدراً عليه لانه من غرض اولاد الامير يوسف فضبط ارزاقه وصادره . فسعى عبدالله باسترضاء الامير بشير واستماله اليه فرفع عنه المصادرة وترك له ارزاقه وعفا عنه .

هذا بزمن الامير بشير الشهابي الكبير (١٧٨٨–١٨٤٠م) وهو اشهرهم نال منزلة كبيرة عند الامير بشير . ولكنه اضطرّ الى عزله وقتله لاسباب رواها الامير حيدر الشهابي الشملاني في تاريخه «الغرر الحسان»[1]

ونحن نروي هذه القصة كما سمعناها من كثير من شيوخ دير القمر ، ومنهم الراوية الفقيه جرجس بك صفا صديقنا ، وهذا ملخصها :

في سنة ١٨١٩، على اثر الاضطرابات التي حدثت في لبنان، سعى الامير بشير بقتل الشيخ بشير جنبلاط فاستخدم لذلك الشيخ شرف الدين القاضي المعروف عند العامة بالشيخ شرّوف ، وكان ينتهز الفرصة المناسبة لذلك . فعرف الشيخ محمد بن الشيخ شرّوف ، بسعاية ابيه بالجنبلاطي ، فوقف لذلك بالمرصاد حتى عرف اسرار المؤامرة وسعي والده بها لينال مقاماً رفيعاً عند الامير بشير . فاخذ محمد يتقرب من الشيخ بشير وينادمه والشيخ يستطلع اخباره موجساً خوفاً من الامير، وبقي يستنزله الى ان عرف المكيدة التي ينصبها له والد محمد والامير. فاجزل على محمد الصلات حتى تثبت من الخبر. فاراد الجنبلاطي ان يجسّ نبض الامير بشير عدوه . فبعد ان كان يزوره في بتدين بموكب مؤلف من ثمانية فرسان وحاشية زاره بثمانين فارساً وكثير من حشمه . فقلق بال الامير من هذه الابهة واحتفى به، وسأله عن سبب مجيئه بهذا الموكب على غير عادته فقال له الشيخ بشير :« صار يجب ان نأخذ حذرنا » — ففطن الامير وتغافل قائلاً له : « ولماذا ؟ » — فقال له :« لان الشاعر يقول :

الى الماء يعدو من اغصّ بلقمة الى اين يعدو من اغصّ بماء ؟

فانت ساعٍ بقطع رقبتي » فقال له: « لماذا ؟ » — قال : « اجلب الشيخ شرّوفاً القاضي لتعلم الحقيقة.»

فانتبه الامير الى ان الجنبلاطي اكتشف سرّ المؤامرة ، وارسل فارساً ليجلب الشيخ شرّوفاً من السمقانيّة ، ورجلاً درزيًّا من خاصته من دير القمر ليكمن للشيخ شرّوف على الطريق ويقتله قبل ان يصل اليه. ففعل ذلك كما

١) طبعة مصر ، ص ٦٤٩ .

امره الامير. وانتظر الجنبلاطي وصول الشيخ شرّوف. فلما طال الوقت ولم يحضرفطن للامر وذهب برجاله ممتعضاً. وكانت هذه الحادثة من اسباب استفحال العداء بين الجنبلاطي والامير بشير.

وكان الشيخ محمد كلما سُئل عن سبب قتل والده شرّوف يقول: لا اريد اذكر هذه القصة لتأثري انني انا سببت قتله.

ويرجّح ان الشيخ شرف الدين درس الفقه على الشيخ عرابي في طرابلس الشام. وذكر الدكتور مخايل مشاقه في تاريخه المخطوط ان الشيخ شرّوفاً كان قاضياً سنة ١٨١١ م وكان الشيخ يعقوب حبيش، الذي صار بطريركاً مارونياً باسم يوسف، يدرّس الفقه ويرافع عند شرّوف مع خصم له اسمه الشيخ شمسين (لعله من بيت الخازن) الى ان قال بالحرف عن شرّوف:

« وقتله الامير بشير لما كان قاضي دير القمر وكان الشيخ شرف الدين هذا مصاباً بفقد عينه الواحدة وهو من الاذكياء المهذبين ممدوح السيرة غير انه قد وجد من يهجي (كذا) الورد فقال فيه احد الشعراء بعد مقتله:

الحق ميزان الرضى في عينتين بلا نقط
هل شمت ميزاناً اتى للحق في عين فقط.»

انتهى كلام مشاقه بنصه

وللشيخ شرُّوف هذا احكام وتواقيع اذكر منها توقيعه على صكّ بيع شقيق جدّ والدي لابيه طنوس شبلي المعلوف في كفرعقاب (المتن) هذا نصّهُ:

« الحكم يسوغ بموجب هذه الحجة حيث مجراها بعد المحاققة والوفق على الشنعة الحكم بموجبها شرعاً والحالة هذه في شهر جمادى الآخر سنة ١٢٣٤ » (١)

علقه الفقير
شرف الدين القاضي (صورة الختم)

م

وبعد عزل الشيخ شروف تولى القضاء الشيخ احمد البزري المسلم السنّي كما سيأتي تحت رقم (٥)

١) السنة هجرية توافقها السنة ١٨١٨ مسيحية

(لها صلة)

الحجر الكريم

في

اصول الطب القديم

ارجوزة طبية مشروحة للشيخ ناصيف اليازجي

نشرها للمرّة الاولى عن مخطوطةٍ بخطّ المؤلّف

فؤاد افرام البستاني ، استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٤

(تتمة)

٦٩ وان تُبرِّدْ شيخكَ المحرورا(١) فلا يَكُنْ عكسَ الفتى كثيرا

٧٠ واعكس لمبرودِهما مسخّنا والبعضُ عكسَ كلّ ذاك استحسنا

اي اذا أُريد تبريد الشيخ المحرور فلا يكن تبريده كثيرًا بخلاف الفتى فانه يقتضي المبالغة في تبريدهِ . وذلك لان الشيخ قد غلب على مزاجهِ البرد والفتى بخلافه . فاذا خرج مزاجها عن مركزهِ امكن عوده اليه في الشيخ بتبريدٍ يسير . واحتاج في الفتى الى تبريدٍ شديد . وبالعكس في المبرودين منهما فان الشيخ يحتاج الى تسخينٍ شديد . والفتى يكتفي بتسخينٍ يسير . واختار بعضهم عكس ذلك لان مزاجهما لم يخرج الى ضدّهِ الا لداعٍ قويّ فيحتاج المبالغة في ما يردّهُ الى مركزه . فان خرج عن مقداره فقط امكن عودهُ الى ما كان عليه بادنى واسطة . والاول هو الاصوب وعليه الجمهور . [١٣و] واعلم انه يجب على الطبيب ان يكون مستوفيًا حقّ علمهِ واثقًا بنفسهِ عن يقينٍ . وان يكون رصينًا مهذّبًا امينًا ناصحًا مخلصًا متمسّكًا بدينهِ سهل الاخلاق ليّن العريكة قنوعًا بما ياخذهُ من كل مريض بحسب حالهِ مجتهدًا في تدبيرهِ حريصًا عليه . غير مخاطرٍ في اعطاء الادوية العنيفة . ولا فارقٍ في

١) المحرورا . وفي « الطبيب » : المحرورَ

العناية بين الاكابر والاصاغر والاغنياء والفقراء فان الجميع باعتبار الانفس فى رتبة واحدة . وان لا يكون مهذارًا فى كلامه فيضجر العليل منه . ولا عزيز الكلام فلا يشفيه بالجواب . وان لا يذخر الادوية زمانًا طويلًا فتتلاشى قواها . ولا يسترخص ما يشتريه منها اذا كان الاغلى منهُ انفع . وان لا يدخل فى علاج المرض ما لم يعرف السبب الذي احدثهُ . ويقف على حقيقة تشخيصه ومركزه . واذا احتاج ان يختبر فليتلطف بما تُؤمَن غائلتهُ ويمكن استدراكهُ . وليكن ما يختبر بهِ أميَل الى الحرارة فقد قالوا ان الخَطأ الى جانب الحار اسلم منهُ الى جانب البارد . ومما ينفع الطبيب والمريض جميعًا ان يتعرَّف الطبيب ما تيسَّر لهُ من الدلائل المنذرة بما يحدث للمريض قبل حدوثهِ . ويُنذِرهُ بما لا يُزعِجهُ [١٣ ق] منها كاختلاج الشفة المنذر بحدوث القيء . فان ذلك ينفع الطبيب لانهُ اذا انذر بامرٍ ثم وقع ذلك الامر عظم فى عين المريض واهلهِ فبالغوا فى اكرامه . ونشروا لهُ ذكرًا حسنًا يجعل الناس يعتبرونهُ ويرغبون فيهِ . وينفع المريض لانهُ يجعل عنده ثقةً بانتفاعهِ وشفائهِ عن يد ذلك الطبيب لاعتقادهِ الكفاية عندهُ . وبذلك تنتعش طبيعتهُ وتتقوَّى على دفع المرض . ويجب على المريض ان يكرم الطبيب ويتلقَّاه بالبشاشة وحسن القبول ليجتهد في علاجهِ بالرغبة واخلاص النيَّة . قال الشاعر

ان المعلم والطبيب كلاهما   لا ينصحان المرء ان لم يُكرَما
فاصبر لدائك ان اهنت طبيبهُ   واصبر لجهلك ان اهنت معلّما

ويجب ان يكون حريصًا على استعمال كل ما امرهُ بهِ واجتناب كل ما نهاه عنهُ . فقد قال بعضهم اذا كان الطبيب حاذقًا والصيدلانيُّ صادقًا والعليل موافقًا فما اقلَّ لبث العلَّة . والمراد بالصيدلانيّ بائع الادوية . وقيل ان الفاضل جالينوس قال يومًا لمريضٍ كان يعالجهُ اعلم انني انا وانت والمرض ثلثة . فان طاوعتني كنت انا وانت اثنين والمرض واحدًا فنغلبه . وان خالفتني كنت انت والمرض اثنين وانا واحدًا فتغلبانني . [١٤ و] ومما يجب على المريض ان لا يعاف شرب الدواء الكريه الطعم . بل يُقدِم عليهِ ويتناولهُ غير نافرٍ منهُ لان ما تنفر منه الطبيعة لا ينجع فيها . وان يعتقد فيهِ المنفعة فترتاح نفسهُ اليه

وتنتعش طبيعتهُ بواسطتهِ.وان لا تشرهَ نفسهُ الى ما يضرُّهُ من الاطعمة اللذيذة فانها تكون خبيثةً بعد ذلك . وعليهِ قول الشاعر

وان المرَّ حين يسرُّ حلوٌ   وان الحلو حين يضرُّ مرُّ
فخذ مرًّا تصادف منهُ نفعاً   ولا تعدل الى حلوٍ يضرُّ

ويجب عليه ايضاً ان لا يكتم عن الطبيب شيئاً من امره . فربَّما كان ما لا يُعتبر عنده مُعتبرًا عند الطبيب . وان لا يستعمل شيئاً ممَّا وصفهُ طبيبٌ غيرهُ الا باطّلاعه واذنه . فان كان قد وجده ليس كفوًّا يرفع يدهُ وبعد ذلك يدعو غيرهُ ويعمل برأيهِ . غير ان المرض كما ذكرنا آنفاً له درجاتٌ منها التزايد والوقوف على حالهِ . والطبيب لا يقدر غالباً ان يمسكهُ عنها . فاذا تدرَّج اليها لم يكن ذلك برهاناً قاطعاً على ضعف الطبيب وعجزهِ . وقد يتَّفق احياناً ان المريض اذا رأى مرضه قد تزايد او وقف ييأس من ذلك الطبيب [١٤ ق] فيرفضهُ ويدعو غيرهُ . وحينئذٍ يكون قد اقبل انحطاط المرض فينحطّ من نفسه . وعلى ذلك يُنسَب القصور الى الاول والبراعة الى الثاني بخلاف الصواب . وينبغي للمريض ان يُحسِن ظنَّهُ بالسلامة ويشدّد قلبهُ مطمئنًّا فان ذلك يكون من انفع العلاجات لهُ . لانهُ يقوّي الطبيعة امام المرض فلا يدَعهُ يقهرها ويستولي عليها بخلاف الخوف فانهُ يحلّ الطبيعة فيتغلَّب المرض عليها ويغلب الطبيب والدواء . وعلى ذلك تكون الطمأنينة دواءً والخوف مرضاً ثانياً . ويجب على اهل المريض ان يبذلوا الجهد في ملاحظة كل ما يأول الى راحته . ويهتموا في قضاء حوائجهِ العلاجيَّة وغيرها . ويجتنبوا ازعاجهُ جسماً وفكرًا . ولا يفتروا عن تسليتهِ وتطمينهِ . ولا يظهروا لهُ خوفاً ولا جزعاً . ولا يحدِّثوا بعضهم سرًّا بحضرتهِ . ولا يشير بعضهم الى بعض . واذا رأوه في ضنكٍ وانتهاكٍ يكلّفون انفسهم البشاشة ويسهّلوا الامر عليهِ . ولا يمكّنوا من الدخول عليهِ الَّا من يستأنس بهِ وترتاح نفسهُ الى معاشرتهِ . فان ذلك مما يفيدهُ لأن خلوة المريض بنفسه دائماً تجلب عليهِ الضجر فيضيق صدره [١٥ و] وتتردَّد في قلبهِ الهواجس والافكار المزعجة . ويجب على الذين يزورونهُ ان لا يدخلوا عليهِ الا باذنهِ . ومتى جلسوا عندهُ لا يكثرون عليهِ المسائل . ولا

يتحدثون الا بما تطيب نفسهُ بسماعهِ . ولا يسرّ بعضهم الى بعض كلاماً خفياً . ولا يطيلون الجلوس عندهُ لان ذلك يعكهُ عن قضاء بعض حوائجهِ . ويشغل اهل بيتهِ عن تدبير ما يحتاج اليهِ

٧١ وتحفظ الصحَّةُ بالقناعه　　في الاكل بعد صادق المجاعه

٧٢ وقلة التخليط في الالوانِ　　وجودة المضغ مع التواني

٧٣ وهكذا تنقية الفضولِ　　بالرفق في معتدل الفصول

اي ان الصحة تحفظ بتقليل الاكل وكونهِ بعد الجوع الصادق . فقد قيل ان الدواء الذي لا داء فيهِ ان تجلس على الطعام وانت تشتهيهِ وتقوم عنهُ وانت تشتهيهِ . وقال الشيخ في ارجوزتهِ

وقسّم الجوفَ الى ثلاثِ　　ان شئت ان تنجو من الاخباثِ

الثلث للماء وللغذاء ثلثٌ　　ويبقى الثلث للهواء

ومن هذا القبيل تقليل الوان الطعام لان كثرتها واختلافها يفسدان الكيلوس في المعدة بخلاف قلتها واتفاقها . ولذلك نرى امراض الحيوانات قليلةً كما لا يخفى . وكذلك جودة المضغ [١٥ ق] مع التأني فيه يسهل هضم الطعام على المعدة ولا يزدحم عليها . وعليه قول الشيخ في الارجوزة

أطِلْ زمان الاكل تستمِئهُ　　ودقق المضوغ تستهضمهُ

وبهذا الاعتبار ينبغي ان يكون ما يُراد مضغهُ سهل المضغ ليمكن تنعيمهُ فيسهل على المعدة هضمه بخلاف الاشياء العلكة والصلبة فانها ترد على المعدة قاصرة المضغ فتكون عسرة الهضم . وعلى ذلك قول الشيخ

وكلُّ ما شقَّ عليك قضمهُ　　فانه صعبٌ عليك هضمهُ

ومما يُؤمر به لحفظ الصحة تنقية الاخلاط في الفصول المعتدلة بين الحر والبرد . وقد اقتصر بعضهم في حفظ الصحة على قولهِ من لم يمتلِ من الطعام ولم يأكل عند المنام ونقَّى الفضول في معتدلات الفصول كان حريًّا بان لا يطرقهُ المرض الا اذا حان الاجل . وقال الشيخ الرئيس في بعض منظوماتهِ

من رام ان يحظى بصحة جسمهِ　　ويجيز مدة عمرهِ بتمامها

فليجعلنَّ غذآءهُ من اربعٍ ويبادر التقسيم فى احكامها
من خبز ساعتهِ ولحم نهارهِ وطبيخ ليلتهِ وخمرة عامها

والمعدة فى ذلك ما استوفاه فى الارجوزة كما ذكرنا آنفاً . وهى [١٦ و] ارجوزةٌ طويلةٌ جامعة اصول الطبّ وفروعهُ يقول فى مطلعها

الطبُّ حفظ صحّةٍ برءُ مرض من سببٍ فى بدنٍ عنهُ عرض

شرحها العلّامة الشيرازىُّ شرحاً طويلًا مستوفياً سمّاهُ الجوهر النفيس فى شرح ارجوزة الشيخ الرئيس . وقال فى ترجمته هو الشيخ ابو علىّ الحسن[١] بن عبد الله بن الحسين بن علىّ بن سينا البخارىّ . ولد فى شهر صفر سنة سبعين وثلثمائة . وتوفّى يوم الجمعة اول شهر رمضان سنة ثمانٍ وعشرين واربعمائة . ودُفن فى همدان

٧٤ وليُحذَر التزام اكل اللحمِ مواظباً والنوم قبل الهضمِ
٧٥ واكل ثانٍ قبل هضمِ الاولِ وتعبٌ للاكل مطلقاً[٢] يلى

اى ومما ينبغى لحفظ الصحّة ان لا يُواظَب على اكل اللحم لانهُ غذآءٌ غليظ ممرِضٌ للفساد . وعلى ذلك قول الفاضل جالينوس لا تجعلوا بطونكم مقابر للحيوانات . وكذلك يُحذَر النوم قبل الهضم لانهُ يستوقف المعدة عنهُ . والاكل قبل هضم الطعام الاول لانهُ يشغلها عن هضمهِ واصلاحهِ . وان امكن يُقتَصر على اكلةٍ واحدةٍ فى اليوم . وقد جمعها الشيخ الرئيس بقولهِ

[١٦ ق] اجعل غذآءَك كل يومٍ مرّةً واحذر طعاماً قبل هضم طعامٍ

ومما ينبغى ان يُحذَر منهُ التعب بعد الاكل كيفما كان لانهُ يضغط المعدة ويزعجها فلا تطمئنُّ لهضم الطعام واصلاحهِ . وامّا قبل الاكل فانهُ نافعٌ لانهُ يقوّى الحرارة الغريزيّة ويعين المعدة على افنآء ما بقى فيها من الفضلات . ولكن ينبغى ان يكون لطيفاً بحيث لا يبلغ الى اسراع النفَس . قال ابقراط ان الرياضة المعتدلة تحفظ الصحّة . واما القويّة فانها لا تدع الطعام يستقرّ فى

١) الحسن: كذا فى الاصل . والصواب: الحسين.
٢) مطلقاً : وفي « الطبيب » : مطلقٌ

المعدة فيفسد الهضم . وعليه قولهم ان الرياضة قبل الغذآء خيرٌ عظيمٌ وبعده شرٌ جسيم

٧٦ وحكموا فى العادة المضره بقطعها المرَّة بعد المره
٧٧ وما سواها حكموا بالمنع عن قطعها فانها كالطبع

اى ان الاطبّآء يحكمون بقطع العادة المضرّة تدريجاً لا دفعةً واحدةً كما صرّح الشيخ الرئيس حيث يقول

وكلُّ عادةٍ تضرُّ اهلها فاقطع بتدريجِ الزمانِ اصلها

واما الغير المضرّة فيمنعون عن قطعها لان البدن قد ألف عليها[1] فصارت لهُ كالطبيعة . وعليهِ قول الشاعر

الطبع شيءٌ قديمٌ لا يُحسُّ بهِ وعادة المرء تُدعَى طبعةُ الثانى

[١٧ و] ولذلك جعلوها مما يُراعَى فى قوانين العلاج كما علمت آنفاً

٧٨ واعلم بانَّ اكثر الاوصابِ يأتى من الطعام والشرابِ
٧٩ فقد[2] يكونُ بها المماتُ كما تكونُ بها الحياةُ

اى ان اكثر الامراض يحدث من الطعام والشراب فيكون الموت بها كما تكون الحيوة . ومنه قول الشاعر

كم دَخَلت اكلةٌ حشى شَرِهٍ فاخرجت روحهُ من الجسدِ
لا باركَ الله فى الطعام اذا كانَ هلاكُ النفوس بالمَعِدِ

وذلك لان اكثر الامراض يحدث عن الاخلاط وهى تتولّد منها . ويقلّ حدوث الامراض عن غيرها كما مرّ

٨٠ وحمية الصحيح فى التمثيلِ تُحسَبُ كالتخليط للعليلِ
٨١ فاسلك طريق الاعتدال فيهما وسلّم الامرَ الى ربِّ السما

---

١) ألف عليها : كذا في الاصل . والمشهور ان ألف يتعدّى بنفسه
٢) فقد : وفي « الطبيب » : وقد

اى ان الصحيح اذا احتمى كما يحتمى المريض يُحسَب ذلك منه مثل التخليط من المريض . لانه يُضعِف الطبيعة ويجعلها قابلةً للتأثّر بادنى سبب من اسباب المرض . ولذلك يجب ان يسلك طريق الاعتدال فى طعامه وشرابه بحيث لا ينهمك فى النهم والشراهة . ولا يقتصر على تناول ما يتناولهُ المريض من الاغذية الخفيفة القليلة الغذآء . وبعد ذلك يسلّم امرهُ الى الله

٨٢ [و] الآن تمّت نبذةٌ كلّيه ضمّنتها القواعد الطبّيه

[١٧ق] ٨٣ وهى نظير الدرّة اليتيمه فى منهج الصناعة القديمه

٨٤ فقل لقومٍ طلبوا طبَّ العرب قديمُ تاريخ [ظفرتم بالارب]

اى الآن تمت هذه النبذة المشتملة على كليات [قواعد] الطبّ التى تُبنى عليها المسائل الجزئيّة المذكورة فى [مطوّلات] الاطبّآء الذين يستقصون فيها انواع الامراض واسبابها وعلاماتها ومعالجاتها . وذلك على مذهب اطبّآء العرب الذين نقلوا عن اطبّآء اليونانيين الذين اخترعوا هذه الصناعة وفرّعوا على ما نقلوهُ عنهم ما هداهم الله اليه من المسائل الكثيرة . وقد جعلت هذه الرسالة كالخلاصة من الاصول التى تتشعّب منها الفروع . وكان الفراغ من تأليفها سنة الف وثمانماية وستّ وخمسين للمسيح كما يشعر قولى ظفرتم بالارب فانه يشتمل على العدد المذكور بحساب الجُمَّل . والحمد لله اولاً وآخراً وهو حسبنا ونعم الوكيل

تمت

اثر جليل للقرن السادس عشر

رسالة البطريرك اغناطيوس نعمة الله السرياني

(١٥٧٩م)

عرّبها عن الاصل السرياني ، وافتتحها بترجمة حياة البطريرك المذكور
القس يوحنا عزّو بركاتم اسرار البطريركية السريانية الانطاكية

٣

الرسالة (تتمة)

وتبرهن صريحاً هذه اللباقة التي يعالجها من يهتمّ بثبات البيعة المصطفاة وينشط لقوامها وتوضحها جلياً قصة رسامة الاب السامي القدر مار ملاتيوس الانطاكي الذي كان يتظاهر في بدء اصطفائه بانحيازه الى الاريوسية ويتزيّى بزيّها بجذاقة . ولهذا خُدعَ به الاريوسيون واختاروه لتبوءِ السدّة البطريركيّة الجليلة . واخيراً لما اسفر عن استقامة ايمانه حطّوه عن الكرسي ونبذوه ، وهو غير منبوذ من المسيح ابي الآباء قاطبة ، وهو الذي رسم اسقف قيصريّة قبادوقيّا مار باسيليوس الكبير والملفان الخطير وهذّب وثقّف مار يوحنا فم الذهب صاحب الكرسي القسطنطيني الواسع السمعة . وعليه فاذا ما انعمنا النظر فيمن ذكرنا وتقصّينا اثر العدد الجمّ من الآباء القديسين غيرهم نظير مار ساويروس ورفاقه الذين اجتهدوا ويجتهدون في قوام البيع ، فنشاهدهم انهم كانوا يتوسلون بوسائل جمّة ويتدبّرون بأرابة ، ولاسيما اوان الشدائد ليدرأوا عن جماعة المؤمنين باسرها الاوازم المضرّة . فينجم ان خساستي ايضاً تتوافر لها دواعي النجاة ، وانها كانت بعيدة عن مواطن التقاعس والفشل ، ولم امل قطّ متقنعاً بان يمسّني نزر قليل من ضروب التواني والرخاوة . بيد ان كل ما بدا من وضاعتي وما

عالجته من الدهاء. وسلوك الملاوي ومنازلة بأس جبابرة الجد والاجتهاد لم يكن الّا من اجل كرامة محبة البيعة وثباتها لا غير اذ وحدها تسمو على كلّ عاطفة وشاعرة فيّ انا الذليل . ولم استطع وليس في وسعي الآن ايضاً ان اتصور او يعلق في وهمي طرف ضيق ما او الم او مصيبة او هزء الاعداء. واستخفافهم مما يمس كرامة البيعة الغالية على المسيح . وعليّ انا المصاب بداء لا دواء له البتة. ولاني صارحت حضرتكم فقط بالامر جرى لي ما جرى وكلما يجرى الآن ، غير اني متأهب لان اوتضي للذود عن حياضها بكل ما يعرض لي من البلايا والرزايا ، وقد ازدادت فعلاً الآن اشجاني وتضاعفت الواحد مائة ولاجل ذلك عادت خشيتي الى الاستمساك بحبال البنود والمصانعة المجدية مثل هذه الطوارئ نفعاً ، ربما تتاح لي نهزة للتنصّل منها. لكنها تتفنن في استلابي الآخرة الثمينة التي يتوقعها الصناديد الشجعان فتدهورت الى اقصى الدركات السفلية خيفةً من ان ترى عيني او تسمع اذني شيئاً يضير البيعة المحبوبة او يؤلمها .

واعلموا باني منذ ساعة انفصالي عنكم لم اعدّ نفسي الّا مع اولئك الرصفاء الذين تقدّموا فتنعموا بالراحة الهنيئة السعيدة ، اعني الآباء السعداء الذين اضطُهدوا وعانوا الاخطار والآلام والضيقات الى ان تخطّوا هذا العالم الفاني وفازوا بالراحة الابدية في العالم الباقي . ولذا فلا يخطر لي شأن في هذا العالم ولا في العالم المرتجى مما يعود اليّ بالجدوى الّا ما يؤول الى نفع البيعة المقدسة ونجاحها اولاً فترونني اتجلد مستخفاً بكل ضروب العذاب وصنوف الانصاب التي تنتابني متلونة يوماً فيوماً راجياً وواثقاً بوجدان ضالتي المنشودة وهي راحة البيعة وتنعمها . فها قد افضيت اليكم ، يا اخوتي ، بما تنطوي عليه سريرتي ، واطلعتكم على هدف آمالي وآلامي العميقة والمستكنّة في مخادع جناني . فارغب اليكم بحبّ ربنا ان تلبّوا ندائي وتحضيضي بالمثابرة على حفظ النواميس والقوانين البيعيّة ، ولا تتهاونوا بها البتة. واعلموا انّ منية قلبي ومطمح اشواقي وقصارى املي الوحيد من رأفتكم ما اقتصر على ابرازه لكم بالتلميح ، لاني لا اتجرأ على الاجهار به بالتصريح لاخوّتكم الاسرائيليّة والصادقة حقاً ، وهو ما قاله حليف البلايا يوسف الحسن واوصى به اخوته حين دنوّ اجله : « ارغب

اليكم ان تصعدوا بعظامي من مصر لاكون برفقتكم دائماً » . ولاني آنس من ذلك ولا يخطر لي ببال ابداً هذا الامر فاجترئ بالتذلل بين يديكم مستعطفاً ان لا تنسوا نفسي التي حُرمت نجواكم في هذه العاجلة المحبطة المساعي والمثبّطة الهمم ولا تدعوا ان يزول ذكري تماماً بعد ان اصير في الآجلة من سفر الآباء الذين عانوا برحاء الاضطهاد ومرارة الغربة ، ولا ترضوا ان يتوارى ويحتجب اسمي مع مواراة جسمي واحرم المساعفة والصلوات من احدى البيع والاديرة القرية المعتقد المبثوثة في كل قطر وضاحية. بل ليذكرني الجميع في تقدمة القرابين لاجل عنائي واهتمامي بقوام البيع وتشييدها ورفعة شأنها وحفظها كما تعرفون ذلك حق المعرفة ، وهو بادٍ لكثيرين ممن يعترفون بالحقيقة ولا يتأتى لهم جحودها . الا رحماكم عِدُوني بصدق المسيح بان تنظموا حثيث سعيي في سبيل بنيان بيعة الله في سلك الآباء المجاهدين الصلاح ذاك السعي المحفوف بصنوف الاخطار وضروب السجن والبلايا . واناشدكم بحبّ يسوع الهي ان لا تظلموني وتبخسوا حقوقي ، وتفسحون المجال للمتقولين بإجادهم علّة للتشبث بما توحيه اليهم فكرتهم النازحة عن جادة الحقّ والصواب فينحون عليّ باللوائم مستخذين لروح الحقيدة ، ولما أُشربت قلوبهم من البغض والعدوان . وابذلوا الهمة ، يا احباني ، بتنظيم ايام ذلي وبلواي وألمي وعنائي ، لاجل بيعة الله في كل صقع وصوب وعلى الخصوص في المجال التي تعبت مع اهلها وتعبوا معي وارغب ان يذكروني بقربان مرة واحدة في السنة في الاعياد السيدية في جميع كنائس الكرسي ماردين وفي اديرتها وقراها كافة ، وفي مدينة آمد (ديار بكر) وكل قراها ، وفي مدينة حصن كيفا وقراها ، وفي جميع كنائس الجبلين المباركين الفوقاني والتحتاني واديرتها ، وفي مدينة السور ، والجزيرة ، وسعرد ، والموصل ، ومعدن ، والبشيرية ، والهتخي (وتدعى اليوم حاح) وميافرقين ، وخرتبرت ، والجرجر ، والرها ، وحلب ، وحمص ، وحماه ، وطرابلس ، ودمشق وقراها واديرتها ، وفي سائر كنائس المشرق والمغرب ، ولاسيا في المحلّ الجليل المقدّس الذي اتمّ فيه الهنا المتأنس تدابير خلاصنا ، اعني اورشليم ، وبالاخص حيث دفن جسده الطاهر . ولتكن تقدمة هذا القربان على النسق الآتي : وهو ان

يُقام في كل بيعة او دير قدّاس واحد في يوم معروف من السنة على مذبح تلك البيعة او الدير ذكرًا وراحة لنفسي البائسة المضطهدة ، ولكن سنة ثابتة مع ثبات الطائفة السريانية للاجيال المقبلة . فاسأل اذًا بدالة مستعطفاً قداستكم ان تُعنوا بهذا الامر.

واخيرًا التمس منكم ان تبلّغوا سلامي مقرونـاً بغزير البركات وجميع الصلوات وتواتر الادعية نسمةً نسمةً وصنفاً صنفاً وفردًا فردًا من سكان تلك البلاد المباركة الاعزّاء. وسائر جماعة المؤمنين الاحبّاء اجمالًا وافرادًا ، مستمطرًا غيوث الرحمات الالهيّة على نفوس آبائهم المرحومين كلّ باسمه ورتبته وميزته. لا زلتم اصحّاء متعافين ومباركين بربّنا الذي يليق به الوقار والكرامة الى ابد الابدين. آمين.

انباء الايالات الفرنجة وبلادها وملوكها

اولًا : رومية العظمى . يبلغ طولها ، اعني بعد مسافتها عن جزائر الطوباويّين ، ٥٠ درجة و٢٧ دقيقة ، وعرضها ، اعني انحنائها عن قوس منتصف النهار اي خطّ الاستواء ، ٤١ درجة و٥٠ دقيقة . وهي مدينة كبيرة واسعة الارجاء متراميةُ الاطراف لا يسع الفارس ان يجوبها في خمس عشرة ساعة . وهي حديثة البناء ، لان المدينة القديمة التي تخبرنا عنها الكتب هي اليوم وحش لا ديّار فيها ، وقد خربت وتقوّضت من آساسها . وهذه الحديثة هي المأهولة الآن ، وهي قسم من تلك وملاصقة لها من ناحية الشمال الشرقي ، وموقعها شرقيّ جنوبي البندقيّة . ومناخها رديّ غير معتدل ، فهو شديد اللفح صيفاً وقارس النفح شتاء . وفيها امراض متنوعة . وكل موجوداتها تُباع باسعار مرتفعة غالية جدًّا . واهلها غريبو الاطوار لا يمازجون احدًا البتّة. وفيها شعوب ولغات من كل جنس مبثوثون داخلها . وهي غنيّة بضروب العلوم ، وعلماؤها يمسون تباهياً بها خارجياً مجاراة لابناء العصر ولكنهم ينبذون ظهرياً الاكباب على تفهم كنه معانيها ولا يتنبهون على سبر غورها لادراك نبطها والرسوخ في الاحاطة بها . ورومية مشحونة بالكنائس والاديرة المتجمّلة بانواع الزخارف

والزينات يربو عددها على الالفين عداً ، ويوجد فيها من الكهنة ما يوفي على العشرة آلاف ، ومن الرهبان ما ينوف على الستين الفاً بمختلف الرهبنات ، وفيها نحو ثمانين كردينالاً لكلٍّ منهم راتب حسب درجته ، فمنهم من يتقاضى سنوياً خمسة آلاف دينـار ، ومنهم عشرة آلاف ، ومنهم عشرين وثلاثين وستين وثمانين وتسعين ومائة الف دينار ، ومنهم من يتقاضى مائتي الف دينار . هذا خلا ما يستوردونه من ريع اموالهم واملاكهم من مدن وقرى وحقول . اما المطارنة والاساقفة فيعدّون بضعة آلاف ، ورواتبهم كالكرادلة ، بل يوجد اسقف يرد عليه في السنة ثلثمائة الف دينار ويوجد من الكهنة من يدخل عليه في السنة الفان وثلاثة آلاف دينار . وراتب البابا اربعة وعشرون ديناراً في اليوم ما عدا الهدايا والتقادم والتحف التي ترد عليه يومياً من جميع الاقطار . وفي السبت الثالث من الصوم الكبير سنة ١٨٩٠ يونانيَّة (١٥٧٩ م) رقّى تسعة الى الرتبة الكردينالية ، واهدى اليه احدهم مائتي الف دينار .

ويوجد في اوربة مدن عظيمة كبيرة يعسر احصاؤها ، وكلها جليلة جميلة . واحسنها مدينة البندقية اذ لا يُلفى في المعمورة مدينـة تضارعها رخاء وسناء على رغم انّ ممالك ومدن اوربة كافة تتلألأ حسناً وجمالاً بما يفوق بقية اقاليم الكرة الارضية طرّاً . وتبعد البندقية عن روميـة مسيرة اثني عشر يوماً ، وهي مملكة رفيعة الشأن جليلة ، مكتظّة بالمدن الكبيرة والبلدان والدساكر والقرى والضيع ما لا سبيل الى استقصائه عـدّاً بحيث لا يتأتّى لاحد ان يعثر فيها على قيد شبر بائرًا او مقفرًا . ومع ان في اوربـة يوجد نحو مائة مدينة تحاكي رومية عظمةً فهذه وحدها استأثرت بالسمعة لدى الجميع . امّا المدن التي تصغرها فتنيف على الثلاثة آلاف مدينة .

وفي هذه البلاد الغربيـة ملوك مسيحيون عظماء يطلق على كل منهم لقب سلطان السلاطين او عاهل (امبراطور) وعددهم ستة .

اولهم واعظمهم عاهل اسبانية . تحتوي دولتـه الجهة الغربية باسرها وجزيرة صقلية العظمى التي تعدّ اليوم اكثر من مائة وخمسين مدينة مشهورة عامرة . وفي اسبانية ما يربو على الثلاثمـائة مدينة ، ويخضع لعاهلها اربعمائة

وخمسون مدينة في جزيرة اورغيس واكثر من ستين مدينة في قارة افريقية ، ومثلها في ايطالية . وتمتد مملكته الواسعة الى بلاد الهند الداخلية ، وله فيها سبع جزائر كبيرة يحيط بكلّ منها ثلاث وستون مدينـة ‎.١٠‏ عدا مدن العالم الجديد (اميركة) التي اكتشفها هو واستولى عليها ، وهي خارجة عن الاقاليم السبعة ، ويقال انه هو الذي سعى في تنصّر اهلها . وفي كل سنة يرد عليه منها سبع سفن كبيرة موسقة ذهباً وفضة لان المناجم المعدنيّة متوافرة فيها .

ثانيهم عاهل البرتغال . وولايته تشتمل على مائتي مدينـة في ايطالية وافريقية وتنبسط سيطرته مستوليةً على جميع المدن الشهيرة الـذائعة الصيت . وفي مملكتـه ولايات ومقاطعات متنوّعة تمتدّ من حدود الغرب الخارجي الى بلاد الهند الداخليّة وتخوم الصين ما يتعادّ على الخمسمائة مدينة .

ثالثهم عاهل الفرنج اي فرنسة ، وعنه نجم اسم الفرنجة . وهو يسود على فرنسة برمّتها ويبلغ عدد مدنها ثلاثمائة وستين مدينة ، ويملك ايضاً على قسم من بلاد فروجية يعدّ مائتين وثلاثين مدينة . وكان هذا العاهل في اول امره اعظم من عاهل اسبانية . اما اليوم فلاسبانية التقـدّم عليه .

رابعهم عاهل المانية . ومملكته واقعة غربي كيت وسيدوار التي اغتصبها الترك في عهدنا ، وتمتدّ الى اقصى بلاد المغرب . وعدد المدن التي تحت سلطانه يتعدّى الخمسمائة مدينة ، وعاصمته الآن بيج الشهيرة .

خامسهم عاهل المجر . وهو من اعظم الملوك واشدهم صولة وبأساً وهو ملك بلاد اللاه المتاخمة بلاد كفا والروملي ويردون وهي تتصل بمملكة الالمان والروس والبلغار ، وفيها ما يجاوز الاربعمائة والسبعين مدينة .

سادسهم عاهل موسكو (روسيـة) . ولا يوجد الآن في هذا الزمان بين الملوك من يماثله بالصولة والشوكة يخضع لسلطته شعوب مختلفة اي الروس والبلغار والصرب والتتر والشركس ، وتشتمل مملكتـه على الاقطار الغربيـة الشمالية من حدود بلاد الالمان واللاه وقرابوجـدان وفلق ، وتحيق بالبـلاد الشمالية كلها الى ان تتصل ببلاد الايبيريين اي الكرج والترك الشرقيين . يدين هذا العاهل بديانة الملكيين اي اليونان . وكل من هؤلاء الملوك الستة العظام

تُسمّى عاهلًا (امبراطورًا) .

— وفي هذه الاقطار يوجد ايضًا ملوك عظام غير الذين اتينا على ذكرهم ، ولهم ممالك عظيمة تضارع الممالك الآنفة الذكر .

اولها فينيسية اي البندقيّة ، وهي مملكة مستقلّة بنفسها ، لا تعنو لاحد البتة ، وهي عزيزة قويّة خصبة غنية بل هي اغنى من مملكة تركية الاسلامية يخضع لها اكثر من مائة وسبعين مدينة مشهورة وعشر جزائر كبيرة تحاكي جزيرة قبرس .

ثانيها مملكة جنوة ، ونظامها يشبه نظام البندقية ، وهي جمهورية يرئسها واحد منهم ينتخبونه ويلقون عليه القرعة مع اربعة او خمسة آخرين يتعادلون فضيلة وعدالة ، فمن تصيبه القرعة ينادى به طوعًا اي ملكًا ، فيعنون له ويضربون الدراهم باسمه . على ان هاتين الجمهوريتين متساويتان بالقوّة والثروة والبلاد والمدن .

ثالثها ، وتدعى مملكة لوكا ، وهي تضارع المملكتين المتقدّمتين وتعادلها قدرًا وولاية .

رابعها مملكة مالطة تحاكي من سبقها باقامة الملك فقط . اما في بقية الامور فهي افقر واحطّ واصغر . وهذه الممالك الاربع هي جمهوريات .

وفي هذه الاقطار ملوك أخر عظام مستقلون بنفسهم لا يخضعون لغيرهم من الملوك ، وتحت حوزتهم عدّة ولايات ومدن كبيرة . اولهم ملك فلورنسة ، يحكم على مائة وخمس وثلاثين مدينة . ثانيهم ملك سافونة ، تحت حوزته مائة وسبعون مدينة ولا يدين لاحد البتة . ثالثهم ملك اوركين ، تحت حوزته مائة واثنتا عشرة مدينة . رابعهم ملك بارما ، يضمّ مملكة ما يتعدّد على المائة والسبعين مدينة . وكل من هؤلاء الملوك مستقلّ بنفسه . وما عدا هؤلاء الملوك ففي بلاد المغرب امراء كثيرون يقال لهم دوكاوات يتولى كل منهم اربعين او خمسين او ستين مدينة .

فاعلموا ، يا اولادنا الاحباء ، واعتبروا انّ هؤلاء الملوك والسلاطين والولاة بقاطبتهم مع ما يتولّون من البلاد كما وصفنا خاضعون لسلطان الحبر الاعظم بابا

رومية الجليل ، ما عدا واحداً منهم فقط ، وهو عاهل روسية فانه بمعزل عنهم يخضع للبطريرك القسطنطيني القائل بمقالة اليونان الملكيين ، والبقية جميعاً تحت ولاية رئاسة بابا رومية الاكرم . ولا نكتم نيّرتكم ، ايها الاعزاء ، ان للبابا الاثيل صاحب الكرسي الرسولي الروماني السامي مملكة في بلاد ايطالية ممتازة تختصّ بسيادته ، غير التي اوردناها ، يديرها هو بنفسه ، وهي مملكة ايطالية كلها وليس لسواه الحقّ في الولاية عليها من الملوك المذكورين وهي تشتمل على اكثر من اربعمائة وستين مدينة شهيرة ، وله ما للملوك السابقي الذكر من السلطان والنفوذ .

والخلاصة يجدر بقداستكم ، يا تاج رأسي ، ان تعقلوا وتحيطوا علماً بان هذه هي ولاية المسيحيين الفرنج . فالمجد لربوبية ربّنا يسوع المسيح الملك الشديد البأس الذي امتدّت مملكته وتجلّت في هذه الاصقاع واتّسعت هذا الاتساع العظيم .

تمّت الاخبار المختلفة في شأن ممالك المدن وولاياتها وكيفية قوامها ونظامها وملوكها . ما سطّره وارسله الينا ليعرّفنا به البطريرك المظلوم نعمة الله الذي غادر بلادنا على اثر مصيبة حلت به فيها ، فلاذ بالهرب الى رومية العظمى بين الفرنجة وعلق يبحث بكل دقة عن المدن وولاياتها فألمّ بها واطلعنا عليها بهذا النسق . ليرحمْهُ الربّ .

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرّة ، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي ، مدير المجلة البطريركية
٣

البحث الاول

في نسخه واهميته (تابع)

٢ً اهمية الميمر

لعظات وتآليف القديس كيرلس الاورشليمي أهمية خاصة . فمنها نعرف الدرجة التي أدركتها ، في ذاك العهد ، الحياة المسيحية والعادات والرتب الكنسية ، والجهود المبذولة لفرز الزؤان من الحنطة في الآراء الحديثة الحائمة حول كل ناحية من نواحي الديانة . لان كثيراً من هذه الآراء لم يكن بعد قد تحدّد بصفة راهنة واضحة ، ولان القديس كيرلس قد سبق طغمة ملافنة البيعة الكبار ، الذين برزوا في اواخر القرن الرابع واوائل الخامس . فكان اول من تصدّى لدحض هذه البدع وبسط وجهة نظر الكنيسة الارثوذكسية فيها ، وشرح بقية العقائد والاسرار النصرانية بصفة وافية منطقية[1] .

فان صحت نسبة هذا الميمر اليه ، اصبح وثيقة غالية الثمن عالية القيمة من الوجهتين الدينية والتاريخية ، وحقّ له ان يُضمّ الى مجموعة تآليف آباء الكنيسة الرسمية ، وان تُدرج معلوماته في تاريخها كمرجع اصيل لتقاليدها الدينية والتاريخية في القرون الاربعة الاولى ، وخاصة للحوادث التي سبقت ولحقت اكتشاف قبر الفادي وصليبه .

---

١) راجع معجم اللاهوت لفاكان مج ٣ ، ع ٢٥٢٨ و٢٥٢٩ و٢٥٧٥

كان هذا الميمر حتى الساعة مجهولاً ، ومـا زال اصله اليوناني وترجمته السريانيّة مفقودَين . وصل الينا باللغة العربية المتنصرة وبعبارة سقيمة مضطربة. بيد ان هذا المظهر الرثّ ، ان افقده كثيراً من رونقه وقليلاً من معانيه ، لا يفقده قيمته . فالعبارة ثوب شفاف لُفّ به ، لا يُحرم العين النيّرة الحادّة رؤية جماله ، كالوشاح اذا اكفهرت ألوانه واهترت خيطانه ، لا يُخفي رشاقة الجسم المرتدي به وتناسب اعضائه . ناهيك بما خلص من هذه الاعضاء من تلابيب الخلقان ، فانها تظهر على اصلها وطبيعتها بخّة مفتولة. فمع مرور القرون الطويلة على الميمر وذهاب طلاوة اللغة الاصلية عنه ودقة تعابيرها ، ما زلنا نسمع منه نبرة الفصاحة والحماسة خافتة ، انما عذبة جذّابة ، تلتقطها الآذان المتمرنة بارتياح ، وتستوعبها القلوب بسرور واعجاب ، وتعرف فيهـا صوت ذاك الراعي الصالح والخطيب المفوّه ، صاحب التعاليم السامية والتفاسير الخالدة التي كان يلقيها فوق ضريح الفادي على الجماهير الوافدة من انحاء الامبراطورية الرومانية للاحتفاء بتكريم الصليب المنتصر على الوثنية والرذيلة.

هذه الحفلات العظيمة والذكريات المؤثرة يستعيدها لنا الميمر ، ويطلعنا على التقاليد الشائعة في ذاك العصر حول فوز رسالة الاله المتجسد ، من عهد ارتفاعه على صليب الجلجلة مهاناً معذباً ، الى عهد ارتفاعه سيداً مطلقاً على ممالك الارض.

يصف لنا الخطيب اتقديس الآيات الباهرة التي ظهرت على قبر المسيح بعد قيامته ، خاصة شفاء اكلاوبا المقعد واقامة ابنه اهروقوس من الموت . وكيف اخفى نيقوديمس ويوسف الرامي الصلبان في القبر خوفاً من ان يحرقها اليهود ، وكيف اقدم هؤلاء على ردم القبر بزبالاتهم ، فقاصّهم الرب بخراب مدينتهم اورشليم وهيكلها واهلاك قسم كبير من شعبهم وتشتيت البقية واذلالهـا . وانتقم ايضاً من الملوك اعداء صليبه : ديوقلتيانوس ومكسيميانوس وخاصة يوليانوس الجاحد . بينما قد عزّز اصدقاءه : عطف قسطنطين الملك على المسيحيين فاظهر له صليبه لامعاً في الجوّ وخوّله به النصر والسلطة المطلقة في الامبراطورية الرومانية. فقصد مع والدته الى اورشليم للبحث عن عود هذه العلامة الظافرة ، وحقق بنفسه عن مكانه مع علماء اليهود السبعة ، الذين يذكر الميمر اسماءهم .

واذ علم من احدهم انه مطمور في الجلجلة، آمرهم برفع الردم عنه، وعاد الى رومية تاركاً والدته وغلمانه واسقف اورشليم للاشراف على اعمال الحفر. حتى اذا ظهرت الصلبان الثلاثة داخل مغارة القبر، وعُرف الصليب المقدس من الكتابة الباقية عليه، هرول الملك الى اورشليم وسجد له وقرر بناء كنيسة لائقة به، وعيّن لتدشين كنيسته عيدًا رسمياً عظيماً في كل الامبراطورية.

وكان المؤمنون يتقاطرون الى اورشليم في هذا العيد لحضور حفلة ارتفاع الصليب والتبرّك من ذخيرته. منهم حجّاج خرجوا من يافا فرافقهم اسحق السامري باسرته وحاشيته وآنيته للتطهر في عين اورشليم. وفي اول مرحلة قطعوها، وجدوا عند حقل يندوم ماء الجبّ مرًّا. فشمت بهم السامري لتجشمهم عناء السفر وتعرضهم للموت عطشاً في سبيل السجود لخشبة. وكان بين الحجاج قديس يدعى الانبا باخوس، هذا لما سمع كلام السامري وتجهّه وانهمه ما يجهله عن الصليب. ثم اخذ عودين وربطهما بشكل صليب ورماه في البئر، فلمع كالمصباح واصبح الماء حلوًا لذيذًا. وبنى سكان الجوار كنيسةً للصليب على ذلك الجبّ وكرّسها القديس كيرلس بنفسه. اما اسحق فتأثر لرؤية الاعجوبة ولحق المؤمنين حتى كنيسة القيامة حيث سمع عظة القديس كيرلس وآمن واعتمد منه مع جماعته. فكانت هدايته اعجوبة رابعة اجترحها الصليب.

هذه المعلومات وغيرها يرويها القديس كيرلس كشاهد عيان او معاصر ناهيك عن تقاليد ثمينة قديمة عرفناها من ميمره عن معاصري السيد المسيح كنيقوديموس وابنه القديس اسطفان، اول شهيد في النصرانيّة، ويوسف الرامي، وبرنابا، وارملة نائين، وحنه ابنة يائيروس، واكلاوبا، واهروقوس ولده، ومريم المجدلية، والبعازار، ووجوه قرابة هؤلاء مع مريم العذراء. هذه الفوائد ان لم تكن كلها حقائق تاريخية، فهي على الاقل تقاليد جليلة اوصلها الينا احد علماء الكنيسة الاقدمين واساقفتها، منها ما كنا نجهله تماماً، ومنها ما كنّا نعرفه على غير حقيقته.

ولا ننسَ ان رواية القديس كيرلس عن رؤيا قسطنطين وظهور القبر

وخشبة الصليب بعناية هذا الملك وحضور والــدته هيلانة توفق بين روايات المؤرخين المتناقضة الغير المعقولة ، وتتحاشى اغلب ما يقوم في سبيل تصديقهم من الصعوبات والمغالاة. ولعلها الرواية الصحيحة التي يجب اعتمادها بعد اليوم في تاريخ الكنيسة ، كما سنبيّنه في حينه.

وقبل ان ننتقل الى درس الدلائل التي ترجح نسبة هذا الميمر الى القديس كيرلس الاورشليمي علينا ان نبسط الاعتراضات التي قد تقف في طريقه ، وان نبين ما في هذه الاعتراضات من وجوه الضعف ، وانها لا تنطبق على ميمرنا.

البحث الثاني

الاعتراضات

نبسط في هــذا البحث الاعتراضات التي قد تقوم ضدّ رواية ميمرنــا بخصوص رؤيا قسطنطين وعلاقة والدته هيلانة باكتشاف القبر والصليب . وهي نفس الاعتراضات الموجّهة ضدّ الاساطير السريانية التي تسرد روايتها والصعوبات الواقفة في سبيلها ، لنثبت انهــا لا تنطبق على ميمرنا ، وان انطبقت لا تنفي نسبته الى القديس كيرلس.

٧ رؤيا قسطنطين

لم نتقدم بعد بميمرنا الى محك النقدة ، انما نتصورهم ، منذ الآن ، يشزرونه بعين الحذر والريب ، شأنهم في كل اكتشاف جديد لاثر قديم ، لاسيما اذا اتاهم من الشرق . وقــد بالغوا في ذلــك حتى امسوا يشكون في اوثق الوثائق ، وينقضون دعائم التــاريخ الكنسي القديم القائمــة على تآليف اوسابيوس وثيودوريطوس وسقراط وسوزومين وغيرهم ، دون ان يكون لهم ما يعوضوننا به منها ، بل تراهم يملأون فراغها بالتخمينات والتأويلات ، كمن يترك ما في يده سعياً وراء الخيال . والغريب انهم عند غرضهم يستخدمون الوثائق التي نبذوها بالامس اداةً لهدم غيرها. ولعلّ ما يحملهم على المغالاة في النقــد حُبّ الظهور بمظهر الحكيم الرصين الضليع الذي لا يجوز عليه ما جاز على الساذج او المبتدئ. وكاني بهم ذلك الجرّاح ، الذي اذا كُلّف بترّ عضو فــاسد ، ارتأى بتر عدة اعضاء ، بحجة انها غير صحيحة ، ولا يزال يعمل مبضعه في المريض حتى يتركه

جثة. لا تصلح سوى للتشريح . فلنتدارك مباضعهم في ميرنا ، عساها نتقيها او نخضد من حدتها . ولنحذر سحذرهم الا في دائرة التعقل والاعتدال.

اهم ما نخالهم موجهين النقد اليه رواية الميمر في رؤيا قسطنطين الملك وعلاقة والدته باكتشاف القبر المقدس والصليب . وحجتهم ان هذه الرواية مستندة الى الاساطير السريانية القديمة ، التي نشرها المستشرق نستله ، والحاوية للاشاعات الملفقة ، التي راجت في القرن الرابع في عالم النصرانية ، خاصة في الشرق ، حول هذا الاكتشاف.

واليك مختصر رواية ميمرنا في رؤيا قسطنطين وردت في الصفحات ٢٢٩– ٢٣٢ من مخطوطة بكركي التي نعتمد عليها :

« كان الملك قسطنطين ابناً لوالدين مسيحيين ، متسلسلاً من الملوك الرومان الاصليين . انما لم يكن في شبوبيته قد تنصر بعد ولا عارفاً بعلامة الصليب . لان الملكين ديوقليانوس ومكسيميانوس كانا قد بسطا عبادة الاوثان في كل مكان ، ولم يكن بعد من كنائس قائمة ولا صلبان ظاهرة . وحدث انه خرج يوماً لقتال الفرس وعسكر في تل رامح ، فوجدهم قد تحالفوا مع سبع امم وحشدوا عليه جيشاً هائلاً وجاؤوا بآلة يعفرون بها البراديب والمغر ، وصمموا على الفتك به واجتياز حدود الكورة الرومانية واحتلال انطاكية . وفي ذات ليلة ، وقد اشتد به القلق ولازمه الارق للتفاوت بين قوات العدو وقواته ، رأى وهو يتفرس في السماء صليباً من نور وحوله كتابة « بهذه العلامة تغلب جميع اعدائك » . وفي الغد نهض باكراً واستفهم من الكهان والعراف لمن هذه العلامة ، فاجابه بعضهم انها لداريون اله الحرب وآخرون انها للبطل هرقل . وان غلاماً يسمى اوسيكيتوس اقترب منه سراً خوفاً من الطرد ، لان الحادث كان في زمن الطرد ، وأكد له ان العلامة للسيد المسيح . فنذر قسطنطين ، ان هو نال الغلبة بها ، آمن باله آبائه . وللوقت علّق صليباً من ذهب في رأس رمحه وامر ان يتقدمه ، فحاز نصراً مبيناً على الاعداء . وفيما هو يقتفي أثرهم شاهد جمعاً كبيراً في السماء يطاردونهم بسيوف مسلولة في ايديهم . »

وهاك الآن ملخص ما قد يُعترض به على هذه الرواية نأخذه عن مقالة للاب لكلير ، نشرها في قاموس الآثار والطقوس المسيحية تحت اسم قسطنطين[1].

هذه الرواية مخالفة للتاريخ ، الذي ينبئنا ان قسطنطين ، حين كان ملكاً

1) *Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne et de Liturgie, publié par* dom Ferd. Cabrol et dom Henri Leclerq. Paris, 1914. Tome III, 2e partie, col. 2622-2695 – راجع عن الرؤيا وحدها ع ٢٦٦٣–٢٦٦٧ من هذا الجزء.

على غالية وبريطانية[1] ، زحف على مناوئه مكسنس عاهل رومية . ولما صار على جسر ميلفيوس من ضواحي رومية رأى حلماً أوعز اليه فيه ان يرسم علامة الصليب على تروسه . ففعل وانتصر على مكسنس وطرحه في نهر التيبر في ٢٩ تشرين الاول سنة ٣١٢م . وفي اليوم التالي دخل رومية وضم ايطالية الى مملكته . هذا ما كتبه لاكتنس استاذ كريسبوس بكر قسطنطين.

اما اوسابيوس مؤرخه ، فروى انه في اثناء زحفه من غالية الى رومية شاهد ، ساعة الغروب ، هو وجيشه ، صليباً من نور فوق قرص الشمس مع كتابة « بهذه العلامة تنتصر » . وفي الليل ظهر له السيد المسيح في الحلم مع العلامة التي رآها في النهار وآمره ان يصنع مثلها ويحملها في حروبه فينال الغلبة . ولما استيقظ امر الصياغ فصنعوا له صليباً من ذهب وحجارة كريمة ، رسمه ايضاً على تروس جنوده.

فالرؤيا اذاً ظهرت لقسطنطين في اثناء زحفه على مكسنس لا في محاربته الفرس ، وعلى جسر ميلفيوس ، وليس في تل رامح . ولا يُعقل ان يرتكب القديس كيرلس مثل هذا الخطأ وهو معاصر لقسطنطين . فالميمر اذاً ليس له .

زد على ذلك ان والدي قسطنطين لم يكونا مسيحيين ، كما يدّعي صاحب الميمر . فوالده قسطنس كلوروس عاش وثنياً ومات وثنياً . ووالدته هيلانة لم تتنصر الا بعد ان تسنّم ابنها عرش رومية سنة ٣١٢ م ، ولا يُعرف تاريخ عمادها . وهل يُعقل ان يكون والداه مسيحيّين ويظلّ هو جاهلاً علامة الصليب ؟ فضلاً عن انه لم يتنصر الا قبيل وفاته سنة ٣٣٧ من اسقف نيقوميدية الاريوسي .

فنجيب اولاً ان لاكتنس انفرد وحده بذكر جسر ميلفيوس على التبر ، وروايته ، على رأي يوحنا روسي الاثري الشهير وغيره يصعب تصديقها[2] . وهو لم يصرّح لنا من اي مصدر استقاها . امن الملك نفسه ام من حاشيته . وقد راجت في عهده اشاعات شتى عن رؤى عديدة كانت تظهر فيها الالهة لقسطنطين قبل كل معركة يخوض غمارها[3] . وبينما لاكتنس يقتصر على ذكر حلم تراءى

١) فرنسة وانكلترة
٢) كابرول ع ٢٦٦٧ حاشية ٢
٣) كابرول ع ٢٦٦٦

لقسطنطين في المنام نرى اوسابيوس مؤرخه وامين سره يتكلم عن رؤيا ظهر فيها الصليب قبيل الغروب لقسطنطين ولكل جيشه ، وعن حلم ظهر فيه المسيح له مع علامة الصليب وامره ان يتخذها له شارة . وهو لم يعين مكان الرؤيا بل يُفهم من سياق كلامه انها كانت في بدء زحفه على رومية اي في غالية ، او على حدود ايطالية الشمالية . وهو يخلط ايضاً بين الشارة التي اتخذها قسطنطين من حرفي اسم المسيح ☧ او ☧ ورسمها على رايته *labarum* وعلى تروس جنوده ، وبين علامة الصليب نفسها . ويدّعي ان الملك امر له بهذه الرؤيا في آخر حياته . فالرؤيا حدثت في سنة ٣١٢ ، وكتبها اوسابيوس بعد موت قسطنطين سنة ٣٣٧ . فكيف بقيت سرًا طيلة هذه المدة وقد شاهدها الجيش كله[1] ؟

كل هذه المناقضات حملت العلماء على الشك في امر هذه الرؤيا والوقوف موقف الحذر في تصديق تفاصيلها ، مع ان راوييها معاصران لقسطنطين واحدهما امين سره والمرجع الاوثق لكل ما يختص به وبعصره . فهل يجوز نقض رواية القديس كيرلس استناداً الى مصدر مشكوك فيه ومتناقض ؟

ثانياً الرؤيا حدثت سنة ٣١٢ اي قبل ولادة القديس كيرلس بسنة ، اذا كانت ولادته سنة ٣١٣ ، وبثلاث اذا كانت سنة ٣١٥ . فهو غير معاصر لها . فضلًا عن ان الميمر يصف مصرع الملك يوليانوس الجاحد سنة ٣٦٣ . فهو لم يُلقَ قبل هذا التاريخ . وسنورد لك ما يرجح القاءه في آخر حياة القديس كيرلس . فان قدّرنا ان القديس اخطأ في تعيين مكان الرؤيا فلا حرج عليه ، فقد رواها بعد حدوثها بخمسين او بخمس وستين سنة ونيف . ولعله استند الى رواية مغلوطة في هذه النقطة او تأثر من ذكر الحرب التي نشبت ما بين النهرين بين الرومان والفرس ودامت سنة كاملة[2] . وقد اعلن هو نفسه في الميمر انه غير شاهد عيان بل انه يرويها « عن الآباء المعلمين الذين كتبوها »[3] . فخطأه

١) هذه الملاحظة للاب لكلير ذاته . كابرول ع ٢٦٦٠

٢) راجع معجم اللاهوت للاب فاكن مج ٣ ع ٢٥٣٦

٣) صفحة ٢٢٣ من مخطوطة بكركي

هذا ، اذا كان هناك خطأ لا ينفي نسبة الميمر اليه .

ثالثاً : اما ادعاء المعترضين ان والدي قسطنطين كانا وثنيين ففيه نظر . لان والده قسطنس ، ان لم يتظاهر بالنصرانيّة ، فقد تظاهر بالعطف على المسيحيين وبعبادة « الاله الواحد » ، اي اله المسيحيين . وكان يلجأ اليه في كل محنة ومهمّة وينسب اليه كل توفيق ونجاح . ويستنكر اضطهاد رئيسيه الامبراطورين ديوقلسيانوس ومكسيميانوس للمسيحيّين واتكالهم على كثرة الآلهة[1] . اما هيلانة فلا نعرف تاريخ عمادها فلا يمكننا الجزم بامرها . ولعل نصرانيّتها ونصرانيّة زوجها لم تبلغا النضج في عهد حداثة ولدهما . والملوك لا يتعاطون تربية اولادهم رأساً . وقد طلّقها قسطنس سنة ٢٩٣ ، حين لم يكن ابنها قد تجاوز الثالث عشرة ، اذا كان من مواليد سنة ٢٨٠ ؛ لانه رأى ان لقب « قيصر » الذي مُنحه تلك السنة لا يتفق واصلها الوضيع[2] . اما والدها فقد قضى حداثته وشبابه بعيداً عنها ، في جيشي ديوقلسيانوس وجاليريوس . ولم يعد الى وطنه الا قبيل وفاة والده ، فبايعه الجيش في ٢٥ تموز سنة ٣٠٦ خلفاً له على غالية وبريطانية . والوثنيّة كانت منتشرة في كل الامبراطورية الرومانية ، والنصرانية ضعيفة مضطهدة .

رابعاً : اذا تركنا تعيين المكان جانباً ، وجدنا رواية ميمرنا عن رؤيا قسطنطين اصح من غيرها واقرب الى التصديق . فالميمر يتجنّب الصعوبات التي تعترض تلك الروايات والمناقضات التي تسقط فيها ، بل انه يوفق بينها . فقسطنطين ، حسب ميمرنا ، قد رأى علامة الصليب بينما كان ممدداً على فراشه متفرساً في السماء يتفكّر في المعركة ومصيره . وفي الغد شاهد ، وهو يتعقب العدو ، ملائكة في السماء شاهرين السيوف يطاردونه . والميمر يتفق مع المؤرخين في ان الملك كان عندئذٍ غير متنصر ، لا يعرف علامة الصليب ، وان الرؤيا حدثت في بدء عهده بالملك وفي زمان الطرد ، اي الاضطهادات ، وانه شاهدها

---

١) كابرول مج ٣ ع ٢٦٦٣ ، وهو يستند في ذلك الى قول اوسابيوس نفسه في ترجمة قسطنطين مج ١ فصل ٢٧ رقم ٣ ٢) كابرول ع ٢٦٢٤ و٢٦٢٥

ليلة المعركة الفاصلة ، وصاغ على اثرها صليباً من ذهب مرصعاً بالحجارة الكريمة جعله قدام الجيش فانتصر ، والغى الاضطهاد الذي كان ديوقلسيانوس قد شهره على المسيحيين ، وبنى للصليب كنيسة القيامة في اورشليم وحضر تكريسها اساقفة كثيرون ، وعيّن له عيداً رسمياً كان يدوم عدة ايام . وغير ذلك مما سوف تطالعه في الميمر ونشير اليه في تعليقتنا .

٨ الاساطير السريانية

وربّ معترض يقول : « لو سلّمنا ان القديس كيرلس لم يكن معاصراً لرؤيا قسطنطين في سنة ٣١٢ ، فقد كان معاصراً لاكتشاف قبر المسيح حوالي سنة ٣٢٦ ، وبالاحرى شاهداً لاكتشاف الصليب المقدس بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧م . ولما كانت رواية الميمر لا تختلف في اغلاطها التاريخية عن رواية الاساطير السريانيّة الملفقة ، فالميمر ليس له »

نحن لا ننكر وجاهة هذا الاعتراض ، بل نعدّه اكبر حاجز يقف بين الميمر وصحة نسبته الى القديس كيرلس . والرد عليه لا بدّ لنا من التمهيد بكلمة نقولها في هذه الاساطير وفي اهم ما يوجّه الى رواياتها من الانتقاد ، ليتسنى لنا مقارنة ميمرنا بها ، ومعرفة درجة نسبته اليها ، فنحكم في درجة نسبته الى القديس كيرلس . ولا ريب عندنا ان القراء يسلّمون بضرورة هذا التمهيد ، فضلاً عن فائدته . لان الاساطير المذكورة من اقدم ما لدينا عن اكتشاف القبر والصليب ، وهي مبنية على الاشاعات التي زاجت في القرن الرابع حول هذا الاكتشاف . فنقدها يفرز لنا غثها من سمينها .

وقد رأينا ان نراجعها بنفسنا لنلخص للقراء رواياتها ، وان نقتطف المعلومات عنها من مقدمة ناشرها ، والاعتراضات عليها من مقالات الاب لكلير المذكور اعلاه . المنشورة في « معجم الآثار المسيحيّة » الذي يشرف عليه مع الاب كابرول[1]

(١) كابرول مج ٣ : ع ٢١٣١–٢١٢٩ عند كلمة *Croix* اي الصليب ومج ٦ : ع ٢١٢٢–٢١٣١ عند كلمة *Hélène* اي هيلانة

في سنة ١٨٧٤ عثر السيد روبرت هونتينجتون (Huntington) في مدينة حلب على مخطوط سرياني قديم، كتب بالحرف الاسطرنجلي، يحتوي قصص قديسين، بينها قصتان ترويان حكاية اكتشاف القبر والصليب. فاودعها المتحف البريطاني بلندرة (British Museum) وعني المستشرق ابرهارد نستله بنشرها والتعليق عليها، وبالحاق قصة ثالثة بها، نقلاً عن نسخة قديمة جداً محفوظة في مكتبة باريس الوطنية[1]

ولنبدأ بخلاصة اقدم هذه الاساطير والمخطوطات، اي مخطوطة مكتبة باريس الوطنية الموضوعة تحت رقم ٢٣٤، التي ترتقي نسختها، حسب رأي العلماء، الى اواخر القرن الخامس او اوائل السادس[2]. وهي تروي قصة اكتشاف الصليب لاول مرة بسعي القديسة بطرسية ܦܛܪܘܢܝܩܣ زوجة كلوديوس قيصر. هذه قصدت الى اورشليم في عهد يعقوب الرسول وأمرت اليهود ان يأتوها بصليب السيد المسيح، فجاؤوها بثلاثة صلبان لم تعرف ايها الحقيقي. وفي هذه الاثناء ماتت ابنتها فوضعت عليها الصليبين الاول والثاني بدون جدوى، ولما وضعت الثالث قامت الفتاة من الموت. فعرفت والدتها انه صليب المسيح وبنت له كنيسة فخمة، فضلاً عن كنيسة اخرى شيدتها على الجلجلة.

اما مخطوطة المتحف البريطاني[3] رقم ١٤٦٤٤ من ملحق فهرس مخطوطاته السريانية، فرجعها العارفون الى اوائل القرن السادس. وهي تنسب اكتشاف الصليب الى القديسة هيلانة والدة قسطنطين وتعطيها الدور الذي اعطته الاسطورة السابقة الى القديسة بطرسية. فقد جاءت الى اورشليم في ٢٨ ايار سنة ٣٥١[4] فوجدتها خربة، يتزل في جوارها نحو ثلاثة آلاف يهودي. ولما

1) Eberhard Nestle : *De Sancta Cruce.* Berlin. H. Renthers Verlagsbuchandlung. 1880.

٢) راجع في تاريخ هذه النسخ معجم كابرول مج ٣ ع ٣١٣٣ في الحاشية ١٠

٣) راجعها في نستله صفحة ٣٥-٣٦

٤) اذا لم يكن هذا الرقم خطأ من الناسخ فقد خلط واضع الاسطورة بين تاريخ اكتشاف القبر والصليب وتاريخ اعجوبة ظهوره لامعاً في سماء اورشليم بين القبر والجلجلة، التي كتب فيها القديس كيرلس رسالته الى قسطنس سنة ٣٥١

سألتهم عن مكان الصليب قدموا لها الفاً من علمائهم . فوبختهم على قساوة قلوبهم وصمّ آذانهم عن تعاليم المسيح ، ثم امرتهم ان ينتخبوا من يجيبها على بعض اسئلة تطرحها عليهم . فاختاروا منهم خمسمائة ، بينهم يهوذا ، الذي اسرّ الى رفقائه ان والده سمعان حدثه عن جدّه زكي ان المسيح صُلب على القرقفة ܩܪܩܦܬܐ. ولما ضايقت الملكة اليهود في السؤال وتوعدتهم بالتعذيب، ان تمنعوا عن اجابة مطلوبها ، قدموا لها يهوذا المذكور . هذا انكر في بدء الامر معرفته بمكان الصليب ، انما بعد ان طرحته في بئر لا ماء فيها ومنعت عنه الشرب والطعام وعدها في اليوم السابع ان يبوح بما لديه . فقصد بجمهور من المسيحيّين الى القرقفة ، حيث صلّى قائلاً : اذا كان الرب يرغب في ان يملك ابن مريم على الارض ، واذا كان ابن مريم المسيح المنتظر ، فلتصعد من هذا المكان رائحة بخور . فصعدت . وحفر نحو عشرين ذراعاً ، بمعاونة الحاضرين ، فوجد ثلاثة صلبان حملها الى الملكة ، التي كانت تنتظر في المدينة . وفي الساعة التاسعة مرّت من هناك جنازة شاب فوضع يهوذا عليه الصليبين الاولين بدون فائدة . ولما وضع الثالث قام حيّاً . وكان الشيطان في احد الحضور فصرخ متهدّداً « اني غلبتُ العالم بيهوذا الاول ، وغلبتُ بك الآن يا يهوذا الثاني . فانا ذاهبٌ الى ملك آخر يقتصّ منك »[1] . فانتهره يهوذا واخرجه من الرجل . واخذت الملكة الصليب ، ورصّعته بالجواهر ، وحفظته في ذخيرة ثمينة اودعتها كنيسة عظيمة اقامتها له على القرقفة . اما يهوذا فعمّده اسقف اورشليم . ولما توفي هذا الاسقف اوعزت الملكة الى اوسابيوس اسقف رومية ، الذي كان حاضراً ، ان يسقّف يهوذا مكانه ، فرسمه واطلقت الملكة عليه اسم قرياقوس . ثم طلبت اليه ان يبحث عن مسامير المسيح . فتوجه يهوذا - قرياقوس الى المكان نفسه ، وشاهد هناك نوراً ساطعاً كالشمس والمسامير تلمع كالذهب . فحملها الى الملكة التي صاغتها لجاماً لفرس ابنها قسطنطين ليحرسه في ذهابه وايابه وينصره في الحروب . ووقفت الملكة اموالاً طائلة على

١) اشارة الى استشهاد يهوذا المذكور في عهد ادريانوس قيصر .

المساكين والكنائس وجعلت قرياقوس قيّماً عليها ، وعيّنت لاكتشاف الصليب عيداً سنوياً.

ويختم المخطوط القصة بقوله :« هذه قصة ظهور الصليب للمرة الثانية » ، مشيراً بذلك الى ظهوره لاول مرة على يد بطرسية الملكة القديسة ، التي حلت كما ترى ، هيلانة الملكة القديسة محلها في القصة الثانية.

اما الاسطورة الثالثة فواردة في المخطوطة رقم ١٢١٧٤ من ملحق فهرس المخطوطات السريانية في المتحف البريطاني[1] . ترتقي نسختها الى القرن الثاني عشر ، وتجمع بين اسطورتي الملكتين بطرسية وهيلانة وتلحمها ببعضها. فتدعي ان الملكة بطرسية استصدرت ، عند عودتها الى رومية ، امراً من زوجها كلوديوس قيصر باخراج اليهود منها . بيد ان الملك طرايانوس الاثيم اضطهد المسيحيين وعزز اليهود . فسعوا في حبس شمعون بن قيلوفا ، خليفة يعقوب الرسول على اسقفية اورشليم ، واستولوا على الصليب وطمروه . فبقي مطموراً مدة ولاية اساقفة اورشليم الاربعة عشر الاولين.

وفي شهر كانون الثاني اجتمع البرابرة على نهر الدانوب[2] ليعبروه ويحاربوا مملكة الرومانيين . فتوجه قسطنطين لصدّهم . وفي الليلة التي كانوا ينوون في غداتها ان يعبروا النهر رأى في السماء صليباً من نور يحمله ملاك من نور. وعليه كتابة :« بهذه العلامة تنتصر »

وفي الغد امر ان يصنعوا له مثل هذه العلامة وتواقع مع البرابرة فدحرهم. ثم عرف من احبار المسيحيين ، الذين كانوا يُدعون في ذاك العهد نصارى ، ان

---

١) نشرها نستله في الصفحات ٧-١١ من كتابه ، والاب بدجان الكلداني في الجزء الاول من مجموعة قصص الشهداء صفحة ٣٢٦-٣٤٣

٢) نهر يصبّ في ممالك اوربة الوسطى . وقد اصلح بدجان اسمه باسم «مخذمعه» اي التيبر ، مع ان الاسمين لا يتشابهان في الكتابة. وهناك اساطير لاتينية تذكر ايضاً ان رؤيا قسطنطين صارت على نهر الدانوب في السنة السادسة لملكه . راجع مخطوطة باريس في مجموعة الوثائق عن اكتشاف الصليب لهولدر. A. Holder, *Inventio Sanctæ Crucis*. Paris 1889. P. 1 Secundum cod. Paris. N° 2761.

هذه العلامة للمسيح ، فاستدعى اوسابيوس اسقف رومية وتلقن منه مبادئ الديانة المسيحيَّة واعتمد من يده هو واهل بلاطه . واوفد والدته هيلانة الى اورشليم برفقة الاسقف اوسابيوس المذكور لتبحث عن الصليب ، وتقيم له كنيسة لائقة به . فقصدت اليها في شهر آب واستدعت علماء اليهود . فتقدم الف اختاروا منهم ثلاثين ، بينهم يهوذا الذي اسرَّ الى رفقائه بما يعلمه عن مكان الصليب نقلًا عن والده ، الذي عرف من الكاهن زكي ، نيقوديموس الانجيل ، انه مطمور في الجلجلة ، لا في القرقفة . . . الى آخر ما جاء في الاسطورة الثانية عن كيفية اكتشاف القبر والصليب والمسامير وبناء الكنيستين ، وتعميد اوسابيوس ليهوذا وتسقيفه على اورشليم ، مما لا حاجة الى تكراره ، لانه مطابق الاسطورة التي سبقتها .

(للبحث صلة)



الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٢

ـ قلنا ان امارة « باروت » الصليبية كان يحميها من جهة الشمال امارة جبله (جبيل) ومن جهة الجنوب امارة سايت (صيدا) . وكان البحر يمنعها من جهة الغرب . فلم يكن لاربابها ، والحالة هذه ، الا ان ينصرفوا لتحسين مقاطعتهم الفنيقية ، تلك المقاطعة التي اختصت بالسعادة على عهد الرومانيين فدعيت « بيريتوس فليكس » ، والتي عمل الصليبيون على تجميلها حتى اصبحت من اجمل مدن الساحل واوسعها ازدهارًا ، على قول ابن الاثير .

على ان اهتمام الصليبيين العسكري ، بل شغلهم الشاغل ، كان بان يحموا حدودهم الشرقية من غزوات عرب البقاع ، وتدخلات عساكر دمشق . واذا انحدرنا بضعة قرون ، نرى المشكلة نفسها تعرض للجنرال غورو على عهد فيصل . فالتاريخ يعيد نفسه . وما حدث في زماننا هذا ، حدث لثمانمائة سنة خلت ، اذ كان الصليبيون والمسلمون يتنازعون ارض البقاع الخصبة . وان لم يتمكن الفرنجة من الاستقرار في تلك الارض ، فلقد نجحوا بان جعلوا لهم حقًّا بثلث محصولاتها ، وتسلطوا على الطرقات المؤدية اليها من البحر . وقد كان لاتباعهم من الولاة اللبنانيين المعروفين بامراء الغرب كثير من القرى والمزارع في تلك السهول ، يستثمرها ابناء الجبل ، حتى امكن القول بحقّ ان في البقاع اهراء لبنان ومدن الساحل .

اما مدينة دمشق فقد اذعنت ودفعت الجزية لفرسان الغرب . وكان للصليبيين فيها ممثلون سياسيون وتجاريون ، فضلًا عن الارصاد ورجال الخفية المكلفين ان يطلعوا ارباب الساحل على جميع ما يُحاك من الدسائس وراء جبال انتيلبنان . ومما يجب الاشارة اليه ان امراء دمشق كثيرًا ما كانوا يتحدون والفرنجة على جيرانهم من امراء الاسلام كنور الدين مثلًا . الا ان هذه الاتفاقات

الوقتية لم تمنع دمشق من ان تشتغل في الخفاء على هياج رعايا الامارة اللاتينية . وكان اسرع الاقوام تلبيةً لدواعي هذا الهياج دروز لبنان المتوسط . فكانوا يصيخون بالسمع الى همسات الدمشقيين ، لا رغبةً منهم في الاسلام ، بل اعتقاداً انهم يرون في دمشق عوناً لهم على الصليبيين . وكان بين العشائر الدرزية اسرة عربية شريفة ، تتصل بقبيلة تنوخ ، وهي اسرة بني بُحتُر ، امراء الغرب ، الحاكمة في منطقة الشوف الحالية . فرأى سادة « باروت » ان يستصفوا هؤلاء الامراء ، وان يجعلوهم من خاصة رجالهم ، فاقطعوهم الاقطاعات الواسعة في الجبل ، على ان يقدّموا عدداً من رجال الحرب ، ويضمنوا ضبط بلادهم والمحافظة على الامن فيها ، ويردّوا عن الحدود هجمات الاجانب . فقبل امراء الغرب المقاطعات والاعانات . ولكنهم لم ينفكّوا يدسّون سراً على الصليبيين ، متفقين مع اعدائهم . وسنعود الى وصف هذه السياسة الملتوية « اللاعبة على الحبلين » ، كما يُقال ، والتي لم تفقد تقاليدها في سورية حتى اليوم .

في سبيل تلافي هذه الاخطار ، اعتزم بقدوين الثاني ملك اورشليم ، في نحو السنة ١١٢٥ ، ان يبني حصناً على جبل گلاڤيان ، في «ارض كافية الخصب ، على ستة اميال من باروت . »[١] اما موقع هذا الحصن فترجح تعيينه في مرتفع دير القلعة قرب بيت مري . وهو مركز يوافق المسافة المذكورة ، فضلاً عن انه يبرّر تسمية ذاك المكان « بدير القلعة » وهو اسم لم يشرحه احد حتى اليوم على طريقة اوفق من هذه . وقد تأكدنا ، بما عرفناه عن بعلبك التي لا تزال خرائبها تدعى باسم « القلعة » ، ان من عادة المحاربين ان يحوّلوا اسوار الهياكل القديمة الى حصون وقلاع . على اننا نرى في امر « دير القلعة » صعوبةً واحدة وهي ان تلك النواحي لم تشتهر بخصبها . ومهما يكن من امر، فاننا نظنّ ان الملك بقدوين لم يبنِ قلعةً كبيرة بل حصناً صغيراً . اما آثاره فلا شك انها دخلت ، مع كثير من آثار الهيكل القديم ، في بناء الدير الحالي وفي ابنية قرية بيت مري ، حيث لا يزال بعضها يظهر حتى اليوم .

واذا استثنينا هذا الحصن ، لا نجد ذكراً لايّ بناء او اية قلعة صليبية في

١) راجع *Hist. Occident. des Croisades*, II, 473

الجبل ، داخل امارة باروت . ولو كان شيءٌ من ذلك لما سكت عن الاشارة اليه صالح بن يحيى ، مؤرّخ امراء الغرب . على اننا نعرف في الساحل بضع قرى كالناعمة ، ومزداسية ، وجونية كانت محصّنة ، او على الاقل محاطة بالاسوار[1]. وذاك كي تتمكن من مقاومة القرصان وارباب المراكب المصرية.

اما العساكر التي كانت تحت تصرّف امير «باروت» فكانت قليلة العدد، ضئيلة الخطر . ولا شيء اعجب مظهرًا ، ولا اغرب تركيباً ، ولا اقلّ وحدة وتآلفاً من جيوش الفرنج الشرقية . كل الشعوب وكل الديانات المتمازجة المختلطة في الشرق كانت تجد ممثلين لها في تلك الجيوش ، كما هي الحال تقريباً في ما ندعوه اليوم «بجيوش المستعمرات» . ولم يكن في تلك الفرق الا عدد قليل من الصليبيين بين قوّاد ومنظّمين . حتى يمكن القول ان الاطار كان وحده افرنجياً ؛ اما ما يملأه من الانفار ، وصغار الضبّاط ، فكانوا من ابناء البلاد على اختلاف مللهم ونحلهم . وكان على امراء الغرب ان يقدّموا عددًا منهم لم يكن يتجاوز على ما نظنّ الثلاثين نفرًا ، وهو العدد الذي فرضه بعد ذاك على الامراء انفسهم؛ امراء بني ايوب وامراء المماليك ، كما يذكر المؤرخ صالح بن يحيى . ولا نرى ما يدفع الى الظنّ انهم قدّموا اكثر من ذاك الى امير «باروت» الفرنجي.

اما سائر العسكر فكانوا من المسلمين المدعوّين «توركوبول» (*Turco-poles*) ، من شذّاذ الطرق والمتشرّدين تضيق بهم الحياة بين السكر واللهو ، فيؤجرون شجاعتهم ويحاربون في جيش من يضمن معيشتهم . وكان في تلك الجيوش ايضاً فريق من الارمن والموارنة . واذا ما حُمّ الخطر ، كان سكّان بيروت انفسهم ، يحملون السلاح ويشتركون والعسكر النظامي في الدفاع عن المدينة . وهو امر يفرض استعدادًا عسكرياً وتدريباً حزبياً . يشهد بذلك ما قام به السكان وحدهم ، سنة ١١٨٧ ، اذ قاوموا جيش صلاح الدين في غياب الحامية العسكرية ، فاوقفوه مدة ثمانية ايام[2].

١) راجع بحثنا *Notes de Géographie Syrienne* [Mél. de la Faculté Orient. de Beyrouth, I, 248, 249]

٢) اطلب *Hist. Orient. des Crois.* I, 692

ومع انه لم يكن من تلك الجيوش فرقة دائمة الّا حامية قلعة المرفأ القليلة العدد، فان تكاليف العساكر كانت باهظة. على ان امراء « باروت » كانوا اغنياء لحسن الحظ. وكان من موارد خزائنهم الضرائب العادية، والخراج المفروض على غير المسيحيين، وبدل الطريق. وفوق كل ذلك كانوا يتكلون على رسوم التجارة المحلّية، وواردات الجمرك. فنتج ان الصليبيين كانوا لا يألون جهدًا، ولا يتراجعون امام اية تضحية في سبيل تعزيز علاقاتهم مع الدول الاجنبية. كانت مرافئ المملكة اللاتينية العظمى عكا، فصور، فطرابلس، وكانت عكا في ذاك العهد تنازع الاسكندرية، بل تنازع القسطنطينية نفسها. وكانت سائر مدن الساحل الفنيقي، تنافس بيروت منافسة قوية لكون مرافئها افضل واوسع من مرفأ بيروت. على ان سياسة امراء « باروت » الرشيدة ودهاءهم المتواصل وجهودهم الدائمة جعلت لبيروت مركزًا حسناً في تصدير البضائع الشرقية المطلوبة بالحاح في اسواق اوربة. من ذلك الحرير، والكتان، والقطن، والزجاج، والقاشاني. وان من هذين الصنفين الاخيرين آثارًا قويت على تقلّبات الاحوال فوصلت الى زماننا حيث تباع بالذهب ثقلًا بثقل. وكان من تلك الاصناف ايضاً الافاويه والابزار المتنوّعة، والعقاقير، والاطياب، وسكّر القصب، والقرفة؛ وفوق كل ما تقدم البهار، ذاك الصنف الذي بلغ من ارتفاع ثمنه في اوربة انه كثيرًا ما قام في العقود التجارية مقام النقد، وان العروسات كنّ يتطلبن، في جملة مطاليبهنّ، ان يجدنَ كيساً من البهار في هدية العرس[1]. ويشهد بنفاسة هذا الصنف وغلاء سعره اذ ذاك ما يذكره صالح بن يحيى من ان الجنويّة نهبوا للبنادقة المقيمين في بيروت البهار المخزون في خانهم. وقد بلغت قيمة المنهوب عشرة آلاف دينار[2]. وهو رقم يفيدنا في معرفة ما كانت عليه من الاهمية المعاملات التجارية في اسواق مدينتنا.

كان المركز الاول بين التجار الاوربيين في بيروت لاهالي جنوى او الجنويّة. وذلك ان اسطولهم كان قد ساعد على فتح المدينة فلزم ان يُقطعوا

١) Schaube, *Handelsgeschichte*, 163, 164

٢) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت، ص ٥٨

تلك ارضها وان يعفوا من رسوم الجمرك ومن سائر المكوس . ولا يخفى ان الجمهوريات الايطالية في القرون الوسطى كانت ترى في الحركة الصليبيّة وجهتها الاقتصادية خاصةً . وكان الجنويّة من اعظم اولئك التجار سعياً في سورية ، ورغبةً في بسط معاملاتهم على جميع المناطق ، مما قد ننعته بالانانية والاستئثار لو كان من المعقول ان نطلب من التجارة صفات التجرّد والقناعة . وكان البنادقة قد استأثروا بالتجارة في القسطنطينية . فكان اذًا من مصلحة الجنويّة ، بل من حقهم على زعمهم ، ان يستأثروا بتجارة السواحل السورية وينتصروا على كل منافسة . حتى لقد يمكننا ، اذا ما نظرنا الى هذا التطاحن الاقتصادي ، ان نصوّب اليهم ما فاهت به « اميرة » ادمون رستان من لوم عنيف لاولئك الصليبيين الذين راحوا يفتّشون عن الارباح المادّية فحسب ، اذ قالت[1] :

يا من تفتشون عن الارباح في فلسطين ، احملوا
على صدوركم ، لا اشارة الصليب ، بل رسم الدينار الذهبي .
انكم لتتنون في الحروب الصليبية . وبئس ما تفعلون !
فان المجد للفرنجة في ذلك . ولكم الفائدة المادية .

على ان هذا الاستئثار بالتجارة الجانح الى الاحتكار الفعلي لم يكن ليروق امراء باروت ، اذ كان يحدّد نطاق المعاملات في مدينتهم . فعملوا شيئاً فشيئاً على التخلّص منه بان اخذوا يسهّلون على البنادقة المعاملات التجارية في بيروت . وكان التجار الايطاليون يتمتعون ، في جميع مدن الشرق ، باستقلال يكاد يكون تامًّا عن السلطات المحلية . فقد كان لهم كنائسهم يخدمها اكليروسهم الخاص ، وخاناتهم الخاصة ، وحماماتهم ، وافرانهم الخاصة ايضاً . وكان يحكمهم اولاً رئيس منهم يُدعى الفيكونت ، ثم حلّ محلّه قنصل بلادهم ، الذي كان يفصل في المنازعات الناشبة بينهم ، فهو حاكم وقاضٍ معاً . الى غير ذلك من الخصائص التي كانت تؤلف « امتيازات اجنبية » تامّة ، قبل عهد فرنسوا الاول بثلاثة قرون . وكذلك كانت امتيازات تلك الجمهوريات الايطالية في الامبراطورية البيزنطية .

(1 E. Rostand, *La Princesse lointaine*, Acte II, scène 5

فكان ان الجنوية استفادوا من هذه الامتيازات ، واخذوا يعملون من جهتهم على تعزيز تجارتهم ، وعلى تقوية احتكارهم لاسواق سورية ، حتى دفعتهم « انانيتهم المقدسة » الى خنق التجارة الفرنسوية مع الشرق. فعقدوا ، في متوسط القرن الثاني عشر ، اتفاقات خاصة مع مرافئ جنوبي فرنسة كمنوبيليه ، وارل ، وسان جيل ، ترمي الى حصر اعمال التجارة الفرنسويين بنقل زوار الاراضي المقدسة او الى اجبارهم على استنجار المراكب الجنوية . ولكن لم يطل الحال حتى اخذ اولئك التجارة يعملون على التملص شيئاً فشيئاً من هذه الشروط الشديدة . وقد ساعدهم امراء بيروت في ذلك ، فانالوهم الاعفاءات الجمركية واعطوهم الحق بفتح قنصلية في بيروت . وكان اول من استفاد من هذه الامتيازات اهالي مرسيلية سنة ١٢٢٣

ولقد كان من حق امراء الفرنجة ، وقد اغدقوا على الجوالي التجارية تلك الانعامات والامتيازات الكثيرة ، ان يطلبوا منها ان تقوم ببعض الواجبات . فكان على الجوالي ان تشترك والسلطة في الدفاع عن الاراضي المقدسة بحرياً وبرياً براكبها وبان تعولهم على حسابها من العساكر . ولا يخفى ان هذا الامر كان يخفف كثيراً من تكاليف الجيش في الدول الفرنجية . فضلاً عن ان حركة التجار واستثمار اموالهم وتعداد مشاريعهم كانت من عوامل ازدهار المرافئ . ولقد استفادت بيروت من ذلك فائدة عظيمة حتى اصبحت « المدينة الوافرة الغنى » « *Opulentissima civitas* » كما يقول من زارها في ذاك العهد من امثال جان دي ويرزبورغ (Jean de Wirzbourg) . وكأن هذا اللقب صدى لذاك اللقب القديم «المدينة الوافرة الجمال» « *Splendidissima civitas* » الذي منحه مدينتنا في القرن السادس ، الامبراطور يوستنيانوس العظيم ، والسائح البليزنسي المجهول الاسم .

***

كانت الضرائب التي سنتها الادارة البيزنطية ثقيلة الوطأة على سورية ، ولاسيا بعد ان اجتاحت اطرافها الحروب والغزوات الفارسية والبدوية مدة قرن كامل حتى انهكت قواها . ثم جاء الفتح العربي . ومنذ ذاك الحين لا

اعلم هل من منطقة اخرى قاست ما قاسته سورية من استئثار الحكام بمواردها الحيوية ، استئثارًا منظمًا واستغلالًا مرتبًا يجعل الحاكم او ممثليه ان يهتموا قبل كل شيء بما يحصّلونه من المال وبما يتناولونه من « الطُعمات » . وهذه الكلمة نفسها ، التي كانت جارية الاستعمال في الانشاء الاداري اذ ذاك ، تدلّ على ما نزل بسورية من مصايب الضرائب وجباتها ولاسيا منذ عهد العباسيين ، تلك « الدولة المباركة » ، كما كانوا يدعونها رسميًا . ولقد بلغ من هـذا الاستئثار الفاحش ان احد حكّام سورية ترك لبيت المال في بغداد ، عند انتهاء وظيفته ، مبلغ ٣٦٠،٠٠٠ دينار ، وهو مبلغ لا نبعد فيه عن الحقيقة ، اذا حوّلناه اليوم ، بالنظر الى القيمة الاصلية والى اختلاف اسعار المعيشة ، الى مبلغ ٣٦٠،٠٠٠ ليرة استرلينية . اما هـذه التضحية المالية من قبل الوالي فكانت جارية تعرف « بالمقاسمة » وغايتها ان تجعل للدولة نصيبًا من ارباح الوالي فتسكتها ، وتبرر نوعًا ما يقوم به هذا من طرق غير مشروعة في جمع المال . على انها لم تكن لتفقر الوالي المذكور ، وقد حصّل اضعاف اضعافها . واذا انتقلنا من عهد العباسيين الى عصر الفاطميين نجد ان احد ولاة دمشق ، من متشرّدي الاتراك ، ترك بعد وفاته مبلغ مليون دينار . وقد بلغ ما وُجد من ثروة خاصـة في خزانة آخر سلاطين المماليك ، على اثر انتصار سليم الاول ، مائة مليون دينار ، اكثرهـا نتيجة ما امتصّه هذا السلطان من اموال السوريين حتى انه وضع المكوس على جامعي زبل البقر .

اما على عهد العثمانيين فلدينا تقرير لقنصلية البندقية من اواخر القرن السادس عشر ، يقول ان مقاطعة سورية كانت تُباع في استانبول « بثمنٍ الى مائة الف دوقة » . وان « وظيفة الدفتردار (اي امين الصندوق العام) كانت تُشرى باربعين الى خمسين الفًا . ووظيفة القاضي ارخص قليلًا . وكان جميع الموظفين يعوضون في مدة قريبة كل ما يبذلونه في ثمن وظائفهم . فـان الباشا كان يسلخ (*scortica*) كل المقاطعة ، والـدفتردار يسلخ الامراء وموظفي المكس ، والقاضي يسلخ جميع من يقع تحت يده . » وكان الجزار ، التاعس الذكر ، يستخرج كل سنة من مقاطعة عكا عشرة ملايين فرنك لحسابه الخاص .

وقد « سحب » من امير لبنان وحده ٠٠٠'٠٠٠'٤٠ فرنك في خمس سنوات ، على قول ثولني . ولم يبلغ ما جمعه في ولايته مدة خمس وعشرين سنة اقل من نصف مليار .

ويقرب من ذلك حالة سائر الولايات . فان عبدي باشا ، والي حلب ، جمع في خمسة عشر شهرًا ، كما يذكر ثولني ايضاً ، « ٤ ملايين ليرة ، فارضاً الرسوم على جميع ارباب المهن حتى منظفي القلايين . » وان من عاشوا على عهد عبد الحميد يؤكدون ان هذه التقاليد ظلّت جارية في سورية. حتى يحملنا الظنّ ان في سورية نهرًا من الذهب جارياً دون انقطاع . والا فكيف احتملت الف سنة من الفوضى والنهب على جميع الاساليب . وقد تنسى سورية اليوم هذا الماضي المؤلم ، منصرفةً الى التأمل المحزن بصعوبات الحالة الحاضرة ، والى التشاؤم بالمستقبل ، غير منتبهة الى ان مصايب الحرب نفسها لم تفقرها الا جزئياً بالنسبة الى غيرها .

اما سرّ هذا الغنى فمصدره ، على ما نرى ، في موارد البلاد الطبيعية ، وفي مركزها الجغرافي ، وفي ما ورثه ابناؤها عن اجدادهم الفنيقيين من مقدرة على المعاملات التجارية ، وجلد في متابعتها وملاحقتها . وهم لا يطلبون ، في سبيل تحقيق هذه المقدّرات ، الا حكومة بصيرة مخلصة . وقد وجدوا هذه الحكومة في امراء باروت الصليبيّين .

كان اولهم الامير دي گين (Foulques de Guines) فابتدأ التنظيم . والى بعده من اجتهد في متابعة عمله . الا ان هؤلاء لم يعرفوا حتى اواخر القرن الثاني عشر اذ انتقلت الامارة الى جان دبيلَن (Jean d'Ibelin) . كان هذا من اشرف ممثلي الفرسان النصارى في الاراضي المقدّسة ؛ وكان سيّد ايبلَن (وهي يَبنيَة القديمة جنوبي يافا) وآصوف ، وكونت يافا والرامة ، ومن قوّاد المملكة اللاتينيّة ، وحاكم قبرص . على انه معروف خاصة في تواريخ الصليبيّين باسم « امير باروت الشيخ » ، وباروت المنطقة التي كان يفضّلها على سائر اقطاعاته . وقد دافع عنها جهده عندما هاجمتها جيوش فريدريك الثاني . وهي مدينة له بازدهارها الاقتصادي ، اذ عرف ان يستدرج اليها تجار اوربة واموالها . وكذلك

رفع اسوارها ، ورمّم قلعتها واتمّ طرق تحصينها حتى جعلها من «اجمل قصور العالم» كما تقول ملاحم القبرصيين (*Gestes des Chiprois*) . وقد مثّل في ملاحم الصليبيين ، دور نسطور الحكيم في الالياذة ، فدعاه فيليب دي نوڤارا «المتكلّم الرائع الحكيم» . وكان فوق ذلك ، وقبل ذلك ، رجل عمل وجد تروعه عظمة الفنّ وفخامته ، فباشر ترميم بيروت على رغم التكاليف المادية الثقيلة ، لان المدينة كان قد خرب اكثرها على اثر فتح صلاح الدين المؤقت . وقد اشار هو نفسه الى ذلك بقوله : «لقد تسلّمت المدينة عندما استعادتها النصرانية ، وهي مهدّمة حتى ان التامبلية والاسبتالية وسائر امراء سورية تركوها . وقد اصلحتها واعدت بناءها بفضل صدقات النصارى وعملي انا.»

والآن ، أوَ ليس من الاجحاف بحقّ التاريخ ان لا نرى شارعاً في بيروت يحمل اسم هذا الامير العظيم ؟ ...

وهناك جان ديبلّن آخر نبغ من هذه الاسرة وعُرف بمقدرته الحقوقية عاملاً في تأليف المجموعة الشهيرة «بقواعد اورشليم» . وهو ابن اخ الامير الكبير ، ويدعوه : «عمي الشيخ امير باروت» . وقد ملك بعد الامير الشيخ المذكور ابنه باليان ، ثم حفيده جان ديبلّن الثاني . ثم ورثت الامارة ايزابيل ابنة جان ديبلّن الثاني . وقد تزوّجت اربع مرّات ، ولكنها لم تُرزق ولداً ، فتركت الامارة والالقاب لاختها ايشيف التي اصبحت «سيدة باروت» . فاقترنت اولاً بهونفروا دي مونفور (Honfroi de Montford) . وقد حفظ صالح بن يحيى فرماناً اصدره هذا الامير سنة ١٢٨٠ باقطاع اقطعه امراء الغرب . وعلى عهد الاميرة ايشيف ، في شهر تموز ١٢٩١ ، سقطت بيروت في يد المسلمين.

وكان امراء بيروت الصليبيون يسكّون النقود . الا ان الامثلة التي وصلت الينا من نقودهم قليلة جدًّا ، واكثرها نحاسية ، عليها كتابات باللاتينية او الفرنسوية . وقد رُسم عليها من الجهة الاولى صليب ، ومن الجهة الاخرى باب او برج مُفرَّض[1] . (لها صلة)

---

١) اطلب في ذلك Schlumberger, *Numismatique de l'Orient Latin*, 118, 119

الزراعة والصناعة

بين الرهبان

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

رأى الرهبان اللبنانيون شريعة العمل واجبة فتقيَّدوا باحكامها مستبشرين وانقادوا لاوامرها طائعين ، واندفعوا يديرون ايدي العمل في شقّ الارض وخدّها غير حاسبين للتعب حساباً . وما فتئوا يغالبون صعابها وصدامها بصبرهم ونشاطهم حتى ذلت لهم واستكنّت فجنوا من جيّد البذار وفر الخيور والثمار.

ترعرعت الرهبانية بالعوز والفقر . وكانت اراضيها لا تفي بحاجة ابنائها ، فاضطرَّت ان تستأجر اراضي عين بقره سنة ١٧١٣ من الحاكم الشيخ عيسى حماده بثمن عشرة غروش في السنة ، واراضي بسبعل سنة ١٧١٥ من مشايخ ناحية الزاوية في طرابلس مـدَّة عشرة عقود تبلغ خمسة وثلاثين غرشاً في كل عام[1] . فأجال الرهبان فيها آلات الحراثة فدرَّت عليهم بالنتاج والنماء . وبكدّهم وجدّهم وعرق جبينهم وبسواعدهم القويّة حوَّلوا صخور بعض بقع لبنان الصمّاء وارضه الجدباء الى تربة خصبة وجنانٍ نضرة غنّاء تُشبع القلب غبطةً ومسرّةً والعين بهجةً ورواء . وهم الذين علَّموا الشعب قواعد الزراعة ودرَّبوهُ على العمل بها وكانوا له فيها مثال الحزم والاجتهاد .

قال السيد ميسلن في سياحته بلبنان سنة ١٨٤٨ ، في معرض كلامه عن دير قزحيّا ودير مار سركيس وباخس قرطبا :

---

١) تاريخ الرهبانية ١ : ٨٥-٦١

« ان رهبان دير قزحيا يقسمون وقتهم بين الصلاة وحراثة الارض . وما كان ذلك الوادي الا خراباً فأحال الرهبان فيه يد العمران بنشاط لا يعرف الملل فأخصب بشغلهم وتزينت تلك الجبال غير المحروثة وغير المسكونة بما غرسوا فيها من الاشجار واكتست بثوبها الاخضر . وعليه فلا يوجد ملك مكتسب بعدل كاملاكهم . والرهبان في لبنان ، دأبهم في كل مكان ، هم الذين بدأوا بكري الارض وعزقها واوجدوا للزراعة قواعد ضامنة لهم النجاح وقدَّموا لغيرهم من انفسهم امثلة صبر ونشاط . »

وليس في العمل من ذُلَّة ولا غضاضة والمرء مجبرٌ على السعي لرزقه ، أمَّا الحقارة والصغار ففي البطالة . لذلك اوجب القانون الرهباني على الراهب العمل روحيًّا كان او جسديًّا ، وحذَّر عليه البطالة تلافياً للمساوئ الناجمة عنها . وهذا ما علَّقه مؤسس الرهبانية المطران عبد الله قراعلي على فقرة القانون :

« عمل اليد الرهباني يجب ان يكون بقدر القوَّة لا ازيد ولا انقص لانَّ الله سيطالب كلًّا منا عن عمل ايدينا بمقدار القوَّة التي اعطانا اها . وسيطالبنا بحسنا الذي خلقه سالمًا ان عملنا فوق طاقتنا فجعلناه آلة لا نفع منها عاجزة عن العمل . . . فيجب على الراهب الصحيح الجسم ان يلازم العمل روحيًّا كان ام جسديًّا لئلا ينغلب للبطالة بل ليفلت من شرِّها وينجو من الرذائل المتولدة منها . لانَّ البطالة آفة الاعمال الصالحة كافة ، والراهب العامل يقاتل شيطاناً واحدًا امَّا البطَّال فيلتزم قتال شياطين كثيرة . وقد حتم القديس بولس على البطَّال بالنفي والطرد من الجماعة . . . واذا كان العمل غير مفيد للاخوة فيخطئ صاحبه الى الفقر والى المحبة . . . ولا يأتي الراهب عملًا الا ما يقلِّده رئيسه لئلا يصبح عمله خطيئة ضد القانون » (١

رسخ حبُّ العمل في قلوب الرهبان فاقبلوا عليه بنفس طيِّبة ومضاء عزم يشحذه التمرُّن والجلد على الاشغال الشاقة حتى افرط بعضهم فيه وأنهكوا البدن ممَّا دعا شارح القانون الى ايجاب العمل على قدر القوَّة كما مرَّ . وكانوا كلما كثر عددهم كثرت فيهم الايدي العاملة لانَّ معاشهم لم يكن الا من الاراضي فراحوا يتناولونها بالمعول ويمزِّقون احشاءها بالمحراث ، وما انفكوا حتى استخرجوا من قلبها الكنوز والخيور واقتنوا بجدِّهم ونصبهم ما اقتنوا وورَّثوا احفادهم من الاملاك ما ورَّثوا « وبعرق جبينهم اكلوا خبزهم » (تكوين ٣: ١٣) ، وهم « يتعبون عاملين بايديهم » (١ كور ٤: ١٢) . ولهم ان يردِّدوا بكلّ حق وصواب آية الرسول الشريفة : « ما اكلنا خبز احدٍ مجانًا بل اشتغلنا

١) كتاب المصباح الرهباني في شرح القانون اللبناني الخطّي ، للمطران قراعلي ، الفصل الحادي عشر في عمل اليد .

بالتعب والكدّ ليلاً ونهاراً لئلا نثقل على احدٍ منكم » (٢ تسالونيكي ٣ : ٨) ونحن نستغرب الجنّ الذي يتّهمنا به بعض العالمين بقولهم: « ان اوقاف الرهبان هي من جدودنا » فاين هي هذه الاوقاف ? ليدلنا اصحابها عليها ويأتوا بالحجة والبرهان لاثبات هذا الادّعاء حتى نسلّم لهم مقتنعين . واذا كان من ثمّ بعض اوقاف من الاراضي فهي قليلة جداً . وقد كانت بائرة قاحلة فاشتغلها الرهبان وصيّروها جيّدة خصبة وقابلوا اصحابها بتعليم اولادهم واخذهم مبادئ الديانة والقراءة بدون بدلٍ، وتقديم تداديس معيّنة لاجل نفوس امواتهم وغير ذلك من المنافع الروحية والمادية التي يسوقها اليهم الرهبان . فكانّ هذه الاوقاف قد صارت، بحصر المعنى، مبتاعةً ابتياعاً لا عطاء ولا هبة . اذاً فلينصف العقلاء المنصفون .

واذا كانت الرهبانية تسلّمت بعض اديار فقد انتهت اليها رمّةً وخراباً وعجز المتولون عليها عن قيامها ووفاء الديون عنها[١] ، ولمّا آلت الى التلف والدثور تداركتها الرهبانية ووفت ديونها وبذلت على عمارها وتجديدها مالاً كسبته بتعب ابنائها . واليك ما يثبت كلامنا : انّ الرهبانية انفقت على ترميم بعض الديورة اربعة وثمانين الفاً وتسعة وعشرين غرشاً[٢] ، ويعادل الغرش في ذاك العصر نحو مئة غرش ذهباً من النقود الحاضرة[٣] . ومن تصفّح سجلات اديارها واطّلع على الصكوك والحجج المصونة في خزائنها ظهر له انّ املاكها ومقتنياتها ابتاعها رؤساؤها وابناؤها بمالٍ حصّلوهُ بكدّ ايديهم وبدمٍ هرقوهُ ثمناً لها وحفاظاً عليها

واذا راجعنا تاريخها وامعنّا النظر في واقع الحال الآن رأينا انّ كثيرين من اهل القرى يعيشون وعيالهم بفضل الديورة المجاورة لهم ، اذ تفرز لهم الرهبانية حصةً من املاكها فيشتغلونها ويُقسم ريعها بين الفريقين ويُسمّى هؤلاء شركاء مساقاة . واذا ألمت بهم حاجةٌ او مصيبة اسرعت الرهبانية الى دفعها عنهم وحضنتهم كما تحضن الامّ اولادها . ناهيك من الفوائد الروحية المبذولة لهم .

وكم من قرًى عديدة هجرها اهلها المسيحيون فاقفرت بسبب الغزو والسلب

---

١) طالع تاريخ الرهبانية ج ١ و٢ ٢) سجلّ دير اللويزة المخطوط

٣) تاريخ الرهبانية ١ : ٤٢٠ وفيه اسعار الحاجيات في ذاك العهد ، وتجد في ص ٤٠ بيان نفقة ترميم مطحنة نهر ابي علي

والاضطرابات والحروب ، وتشتتوا في كل مكان يقاسون عناء المرارة والفقر والهجر . ثم رجعوا الى قراهم وعمروها وتوطنوها بتوطن الرهبان جيرانهم فاستأنسوا بهم وزالت مخاوفهم بجوارهم وعادت السكينة الى قلوبهم اذ كان الرهبان يتلقون عنهم الضربات ويقتحمون الاهوال والمخاطر ويعلمونهم الصبر والجرأة على مقارعة الخطوب والنوازل .

واننا نورد هنا شهادة اثري خطير وعالم جليل درس تاريخ بلادنا بدقة وروية وكتب فيه فصولاً تاريخية ثمينة قال :

« ان ظهور النصرانية فتح باباً جديداً للتمدن والحضارة في لبنان . فانّ المستعمرات الرهبانية اتخذت لبنان مترلاً لاعمالها النسكية وقد اختارت لذلك اقفر ما وجدته من الاودية فصار النساك يجيلون فيها يد الحراثة حتى اضحت هذه المناسك بعد زمن مراكز لضياع عديدة كما جرى في اوربة حيث نرى مدناً كثيرة كانت في اول امرها ديورةً للرهبان اوى اليها القوم فصارت مع تمادي الايام بلاداً واسعة » (١

خذ لك ما يدعم هذه الحقيقة الواضحة : نشبت الحروب والاضطرابات في بلاد جبيل والبترون واستعرت نيرانها واندلعت السنتها في امكنة كثيرة ولاسيما في وادي ايليج (ميفوق) ونزل باهلها من ضروب المكاره والمظالم ما اضطرهم الى النزوح عنها الى اماكن تسودُ فيها الراحة والسكينة . فهال الامير يوسف شهاب ، الحاكم المسلم ، ما صارت اليه البلاد من الخراب والدمار لانه لم يجرؤ احدٌ على السكن فيها ، فعقد مجلس ديوانه وشار عليه كاتبا سره الشيخان المارونيان ابوفارس سعد الخوري وسمعان البيطار ان يسهل الطرق لقيام الرهبان اللبنانيين في هذه البلاد رغبةً في عمرانها لانها امست قاعاً صفصفاً ومأوى للدببة والنمورة كحدتون ورام وراشا ومار ماما والدرق وبحرش وميفوق الخ . . .

وان النمورة كانت منتشرةً على الطرق لاسيما على طريق حاقل ولحفد الى قرب جبيل وتقطعها على المارَّة ، وكان النمر موجوداً بكثرة في ارض دير ميفوق كالعريا ووطا عيطا ، فملّك الامير يوسف الاب اقليموس المزرعاني رئيس الرهبانية اللبنانية العام خرائب دير ميفوق ، ودير كفيفان ، ودير حوب ،

١) الاب هنري لامنس اليسوعي

وانطوش جبيل وكنيسته الكبرى ، وباقي كنائس سهل جبيل وما يتبع هذه الاماكن من الاراضي ، بصكوك شرعية سنة١٧٦٦ ، وكان يستوفي منها الاموال الاميرية . انتشر الرهبان في هذه الحال يقيمون فروض العبادة والصلاة ، ويعكفون على عمل اليد تحصيلاً للقوت ، وقد عانوا من صنوف الظلم والجور الذي الحقه بهم القوم الغزاة الطامعون السفاكو الدماء. ما لا يستوعب وصفه هذا المقال حتى أُلجِئَ رهبان دير ميفوق الى الفرار منهزمين احياناً الى الاودية والمغاور يختبئون فيها متوسدين الحجر وملتحفين الفضاء. ومخبئين آلات العمار وآنية الدير النحاسية في شقوق الارض وكهوفها.

وكان الامير يوسف شهاب والشيخان البيطار والخوري لا يفترون عن مساعدتهم وحمايتهم على قدر الاستطاعة وتنشيطهم على احتمال الكوارث والملمّات ، وما انفكوا ينازلونها حتى ذللوها بصبرهم وجهادهم وصرفوا ، وسائر اخوانهم الرهبان ، الهمّة الى تعمير الاديار في بلاد جبيل والبترون واحياء موات الاراضي السباخ وذات الصخور والاشواك ، فعاد الاهالي الى قراهم يمارسون واجباتهم الدينية بانبساط وسرور لائذين بجاهم مستطيبين العيش في جوارهم . وتقلّص ظلّ الخوف والجور رويداً رويداً ، فعمرت البلاد ورفرفت فوق ربوعها طيور الامن والرخاء.[1]

أليست هذه مأثرة من مآثر الرهبانية البيضاء في جنب الدين والوطن والبلاد ؟

....

واذا اجلنا الفكر بالصناعة في الرهبانية رأيناها في كل عصر قد مثلت فيه ادوارها ، وكانت زاهية زاهرة . فرأينا الرهبان ابعد مطلباً ومطمحاً واحدّ ذهناً من عامّة الناس واسبقهم الى اتقانها والمهارة فيها . فكان منهم البنّاؤون ، والحدّادون ، والنجّارون ، والحاكون ، والطبّاعون ، والخيّاطون ، والاسكافون ، والسنكريون ، والمصوّرون ، والاطبّاء . وقد ازدهرت هذه الصنائع في الرهبانية ايّما ازدهار واتسع نطاقها في الاديار فاصبحت بغنى عن اسعاف الايدي الغريبة.

١) عليك بالنبذة التاريخية في دير سيدة ميفوق التي نشرناها في مجلة المشرق (٢٤ [١٩٢٦] : ٥٦٧-٥٧٥ و٦٤٩-٦٥٧)

وعن ابنائها تلقّن بعض العالمين اصولها فكانت مرتزقاً لهم ولعيالهم.

وقد دهش السيد ميسلن لدن رأى المطبعة في دير قزحيا ودار التجليد وسائر الصنائع قائمة على قدم وساق فقال :

« زرنا كل معاهد الدير وأُعجبنا بالمطبعة التي هناك فانَّ الرهبان يتمكّنون ان يطبعوا عليها ، مع قلّة ادواتها ، ما يشاؤون باللغتين العربية والسريانية ممّا يدلُّ على نشاط لا يعرف الملل وهمم تستهين بالمصاعب . وهناك مصانع لتجليد الكتب والنجارة وغيرها من الصنائع . ولقد طفتُ فلسطين ولبنان كله فلم اجد مطبعة او مكتبة الا في الاديار . وهذا ما يؤيد قول القائلين انَّ الرهبان هم اعداء الجهل . »

ولمّا اتى محبسة الدير واراه الحبيس ، الذي مضى على سكنه فيها خمس واربعون سنة ، مغارته التي يُحفظ فيها القربان الاقدس على مذبح جميل من نحت يده قال : « انَّ امهر النحّاتين لا يمكنه ان يأتي بمثل ذلك التنضيد الذي صنعه الحبيس على مذبح مغارته. »

زرنا في ١٩٢٥ دير القديس اليشع القديم ، في سفح الوادي المقدّس ، فوجدنا هناك صندوقاً كبيراً للحنطة من خشب الشربين يسع نحو ستين شنبلاً ورأينا اجزاءه فاذا هي ملتحمة متداخلة بعضها في بعض بدون ثقب ولا مسمار ، وهو اثرٌ جميلٌ للمتانة في هذه الصناعة وقد حُفر اسم صانعه على عارضة منه وهو « القس بيمين العراموني سنة ١٧١٩ »

والذين مهروا واشتهروا في هذه الصنائع من ابناء رهبانيتنا البلدية اللبنانية كثيرون ، نأتي على ذكر بعضهم.

في البناء :

الآباء : عبد الله الاهمجي ، وعبد الاحد البكاسيني ، ويوسف القليعاتي ، وتادروس صليبا الشوف[1] ، ومرتينوس ديك المجدي ، ومخائيل الخرّاط البكفاوي ، وتادروس البشرّاوي . ومن الاخوة : حنا حراجل ، وحنا الشننعيري ، ويولس المشمشاني ، وعبد المسيح الغلبوني ، ويوسف المعادي ، ويعقوب الدلبتاوي ، ومبارك شقيق الاب تادروس صليبا المذكور ، واجناديوس وعبد الله التنوريان . واقدرهم واشهرهم الاخ عبد الله الخبّاز المزرعاني اصلاً ، ومزرعة شومار[2] مولداً .

١) قرب دير سيدة مشموشة في جزين.

٢) شرقي دير قزحيا

تلقّى صناعة البناء على الاب عبد الله الاهمجي ، وسمّي باسمه وقد عُرف باسم: الاخ عبد الله الحجار ونُعت « بقدام الحجّارين والبنّائين ومعلّمهم.[1]» وعليه أتقن هذه الحرفة وبرع فيها ابن شقيقه الاخ ميخائيل الحّاز الذي اخذ عنه صناعة البناء والنحت بعض اهالي قرية ميفوق . وقد اشتغل هؤلاء الرهبان البنّاؤون ولاسيما الاخوين عبد الله وميخائيل في عمار وبناء وترميم معظم اديارنا كرشميّا، ومار روكس مراح المير[2]، ونسبيه ، والقطارة ، وميفوق ، وعنّايا ، ومار ساسين بسكنتا ، وقزحيا ، والجديّدة ، وفي الجسور والطواحين والسدود والمعابر[3].

في التجارة

الآباء : مرتينوس بقسميّا ، وعمانوئيل مطر اللحفدي وقد أتقنها على يد الاخ برتلاوس خير الميفوقي ، وبولس نون الجراني . ومن الاخوة : جبرائيل العراموني ، ويعقوب المزرعاني ، وبطرس بقسميّا ، وانطونيوس الحدتوني ، واندراوس حرب التنوري ، واسطفان ابي هيكل اللحفدي . وكان أبرعهم واقدرهم تفنناً المرحوم الاخ برتلاوس خير المذكور ، وله في اديار بلاد جبيل والبترون آثارٌ تشهد له بالتفنن والمهارة في هذه الصناعة[4].

في الحياكة

من معاصرينا ، الآباء : سمعان لبعه ، واسطفان النيحاوي ، وجرجس ابي نادر المعادي ، وفرنسيس صليبا السبريني ، ونعمةالله ابي لطف الله الصغاري . ومن الاخوة : حنا بيت لهيا ، ومبارك حوقا ، ومبارك البزعوني ، ومرتينوس العنداري ، وروكس الكفيفاني ، وبولس الحشّاش الميفوقي ، واندراوس حرب ، ويوسف سنجب مطر التنوريان ...

في السكرة

الاب اقليموس مراد التنوري ، والاخوان بطرس الفريديسي ، وجبرائيل

---

١) كذا دعاه كاتب ترجمة الاب لورنسيوس الشبابي الخطية . توفي الاخ عبد الله في دير الجديّدة في ٢٠ آذار سنة ١٨٧٢ وذكر الاب الكفري: «ان له اتعاباً وافرة في الرهبانية.»

٢) قرب عجلتون ٣) اخذنا اسماءهم عن نُبذ تاريخية بيدنا .

٤) ادركته الوفاة في دير ميفوق في ٨ شباط ١٩٢٦

غبروش الكفيفاني ...

في الطباعة والحفر

الآباء : ساروفيم شوشان البيروتي ، ومرقس الاهمجي ، ومارون أيطو الذي ادار مطبعة دير قزحيا خمساً وخمسين سنة[١] ، ومتى تولا الجبة ، والاخ ساروفيم حوقا ... ويدير الآن مطبعة دير سيدة المعونات (جبيل) الاخ جرجس حرب التنوري .

في التجليد

الآباء : اغناطيوس بليبل ، ونعمة الله الحردبني المشهور « بقديس كفيفان » ، وبولس كفرحتنا ، ومارون ايطو ، وحنا الشبطيني ، وسمعان ايطو ، ومرقس ايطو ، وبولس غوما ...

ولا نعرف من الذين اجادوا حرفة الخياطة واتقنوها سوى الابوين مارون السرعلي الجبيس ، ورافائيل الحصروني اللذين كانا يخيطان وشاحات (بدلات) جميلة للتقديس .

في الطب

الآباء : اليشع المعادي ، ومتى تولا الجبة ، ومارون الصغابي ، واقليموس مراد التنوري ، ودانيال الحدثي المعروف « بقديس قرطبا » . والاخوة عبد المسيح الشبابي ، وناوفيطوس وحنا السرعليّان ، وبطرس ابي موسى الاهمجي ...

في التصوير

الآباء : نستير الطرابلسي ، وبطرس القبرسي ، ونستير مدلج قيتولـه ، واسطفان وشربل الديرانيّان ، والاخ نعمة الله نعمة المعادي ، درس هذا الفن على الفنان البارع الاستاذ حبيب سرور الماروني ، وارسلته الرهبانيــة الى بلجكة فاتقنه هناك كما اتقن الحفر وصبّ التماثيل من الجبص . وان الصور التي رسمتها يده في الاديار وكنائس القرى ، وقبب النواقيس ، والمذابح الرخامية ذات الحفر والنقوش البديعة تنطق بمهارته وخبرته .

---

١) راجع ترجمة حياته التي اثبتناها في المشرق (٢٣ [١٩٣٥] : ٥٩٠-٥٩٤)

في الحدادة والقردحة

الاب مارون علوان ايطو ، والاخ نعمة الله المحرشي الذي أعجب به حنا الياس واولاده المشهورون في دوما (لبنان).

ومن جال في انحاء لبنان رأى اديار الرهبانية المارونية القائمة على قمم جباله وفي سفوح اوديته كطيور الحمام البيضاء او كالاسود الرابضة في اجامها تملأ العين قرّةً والنفس مسرّةً ، يحيا فيها الرهبان حياة العبادة والصلاة والعمل يأتين في الشعب هذه الروح الطيبة . واننا نختم هذا المقال بكلام بليغ من خطاب شائق القاهُ سعادة سفير فرنسة لدى حكومة الجمهورية الفضيّة في حفلة اكرامية اعدّها الشعب الارجنتيني والجاليات اللبنانية والسورية لسيادة المطران شكرالله خوري ، الزائر البطريركي الماروني في اميركة ، وقد ترجمته جريدة البشير البيروتية المعتبرة ونشرته[1] . قال السفير صاحب الخطاب :

« انا زرتُ سورية في صباي ، واجاهر امامكم ، ايها السادة ، بعد ما عشت متنقّلاً في جميع اقطار العالم تقريباً،انّ ما من تذكار في مخيّلتي اجمل من مناظر الاديار المارونية القائمة على ضفاف العاصي تحيط بها الجبال المنتظمة السلسلة المغروسة باشجار الزيتون والدفل. لقد نزلتُ ، والحق يقال ، في ضيافتهم فعاملوني معاملة الابن. ولكن الذي يتوقّل الى اعالي قمم لبنان يشاهد اديارًا أخرى لبنانية اجمل من الاولى ، لا يقف امام البصر الممتدّ منها نحو الغرب الا غابات الصنوبر وخط البحر الازرق !

« هنالك تمّت في الماضي قوى نشاط حيّة وحالات شعور ، واصول مدنية وحضارة وقوى روحية،غيّرت شكل البشرية المفكرة فارتكز الحبّ مكان اللذّات القديمة .

« لا شك انّا ملتزمون بعرفان جميل كثير للرهبان الذين يصلّون ويتأملون في الخفايا الازلية غير المتناهية لان الافاضل بينهم طرّقوا الروح المصرية وهذّبوها ، ورفعوا الى اوج سام روح الانسان وقلبه وعلّموا البشر الصلاح والاخلاص والتقوى والفضيلة. ونحن جميعنا ، كنا مسيحيين او لم نكن ، نتعبد لهذه الاشياء السامية ونحنّ اليها ونفتخر بها . . . »

---

١) جريدة البشير في ٨ شباط سنة ١٩٢٣ عدد ٢٩٧٦

شذرات

التذكارات القرفية

لدى اطلاعي صدفةً على عدد مجلة المنارة الصادرة في جونية في شهر تموز المنقضي، وجدت ان صاحبنا المنتقد المتستر لم يقتنع بما كتبناه اولاً وثانياً في «المشرق» الاغرّ (عدد شهر آذار وعدد شهر حزيران) بل اتى بمقال طويل عريض شغل ثلاث صفحات من مجلته «المفيدة» لم نجد فيه اقل برهان يدعم كلامه، كأنه التهى عن البراهين الجدلية بلقب «سماحة الشيخ» الذي اتحفني به. ولهذا فانني اضنّ بوقت القراء الكرام، فلن اضيعه بالرد على هذا الكلام الذي يراه كل عاقل اوهى من بيت العنكبوت، وفيه تطاول بلا جدوى. وانني اكتفي بما قدمته اولاً من البراهين، وبما اوردته من كتابات المثلثي الرحمات المطرانين يوسف دريان وبطرس شبلي في هذا الموضوع، ولن اتعب نفسي بمجادلة من لا يفهم، او لا يريد ان يفهم، قوة البرهان وحقيقة التاريخ. واختم مستغرباً صدور هذا الجواب الاخير على صفحات مجلة قيل في صدرها «انها بادارة الاباء المرسلين اللبنانيين»، مع ان هؤلاء الاباء الذين اجلّهم هم موارنة مثلي، ويقطنون في بلاد مارونية تعرف المشايخ الموارنة، وتعرف ان بينهم مشايخ يدعون باسم «الدحداح»، فلا ينعترن الفرد منهم بلقب السماحة كما شاء. ذلك تهكماً المنتقد المتستر، ولا يتستر الا الجبان. ولاسيما ان لعائلتنا علاقة وطيدة بمؤسس جمعيته السعيد الذكر، فلو طالع مكتبته وآثاره الخطية، وما فيها من المراسلات، ولو راجع تاريخ بناء ديره الكريمي العامر، لعرف علاقتنا معهم، واللبيب من الاشارة يفهم!

٢٩ ايلول سنة ١٩٣٣ سليم الدحداح

ايضاح

لقد اثار وصفنا لكتاب الاديب بشر فارس (في مشرق هذه السنة، ص ٥٤٨-٥٤٩) حماسة المؤلف فاتحفنا بكتاب طويل، نسي فيه ان يشكر لنا

التقريظ، ولكن لم ينسَ ان يحتجَّ شديدًا على النقد . اما نحن فليس علينا الا ايضاح واحد، وهو اننا لم نقل ان المؤلف يجهل موضوعه ؛ بل اشرنا الى انه يكتفي غالبًا بشاهدٍ او شاهدين في تأييد امر يسهل على الناقد نقضه بعشرة شواهد تفيد عكس ما يرمي اليه الكاتب.

هل يجوز اذاعة السور القرآنية بالراديو ؟

رأي مشيخة الازهر

في كل اذاعة من اذاعات الراديو في مصر وقت محدد لسماع قراءة القرآن من احد المشايخ ! ... مع اغاني «احب اشوفك كل يوم» و«اللي انكتب على الجبين» ! ...

وقد احتج بعض رجال الدين على نشر الآيات القرآنية بواسطة الراديو وقامت ضجة حول هذا الموضوع !! فحللها البعض، وحرّمها البعض الآخر. وقد وصل الامر اخيرًا الى مشيخة الازهر، لاخذ رأيها فيه، فاحالت المشيخة هذا الطلب على قسم الافتاء لبحثه ودرسه من الناحية الشرعية واعطت هذا الجواب:

« ان الذي يُسمع من الكلام بواسطة الراديو هو كلام المتكلّم وصوت القارئ، وليس صدى كلمات كالذي يُسمع في الجبال والصحاري وغيرها. وعلى هذا يكون المسموع من الراديو قرآنًا حقيقة . فمتى كان القارئ جالسًا في محل غير ممتهن، وكان في قراءته مراعيًا ما يجب مراعاته، مستوفيًا شروط القراءة وليس في قراءته خلل، كانت قراءته جائزة، والمسموع منه قرآنًا سماعه جائز ومثاب عليه . اما اذا لم يستوفِ الشروط كأن جلس في محلّ ممتهن، او اخلّ بشروط القراءة، او قصد من قراءته اللهو واللعب، فلا تجوز . ولا يضر القارئ، متى كان مستوفيًا الشروط مراعيًا احكام التجويد، وكان على الوصف الذي قدمنا، ان يسمع صوته في محل لا تجوز القراءة فيه، وعلى السامع ان يستمع، واذا وجد من يشوّش نهاه عن التشويش . ومثل القراءة مثل غيرها في ان المسموع هو نفس المتكلّم، فان كان مغنيًا فحكمه حكم الغناء — وان تكلم بما هو مباح — فحكمه الاباحة، وان تكلم بمحرم كان حرامًا، والله اعلم » !

(عن الجرائد المصرية)

مطبوعات شرقية جديدة

J. Walker : Bible characters in the Koran. *in*-8°, 1931. *Paisley, Alexander Gardner Ltd.*

رجال الكتاب المقدس في القرآن

لقد درس كثير من المستشرقين مصادر الاخبار والحكايات التي يرويها القرآن عن رجال الكتاب المقدس بعهديه القديم والحديث. وها ان المؤلف يضع كتابه الحالي في هذه الغاية فيرتّب اسماء الانبياء على الأبجدية، ويضيف الى كل منهم ما ورد عنه في القرآن ناشرًا النصوص بكاملها. على ان ذكره لمآخذ البحث قليل، وقد رأينا مصادره ضئيلة كذلك، وقد كان بوسعه ان يشير الى اكثر ما ظهر قبله من الابحاث في الموضوع. اما ما يجدر بالذكر فتعليقه على اسم «عُزَير»، ولا يخفى ان القرآن يُشير الى ان اليهود عبدوا عُزَيرًا هذا اذ جعلوه «ابن الله» (القرآن ٩ : ٣٠). وهي تهمة لا نرى لها اصلًا في العهد القديم. وقد قدّر المؤلف ان نبيّ الاسلام استقى هذه الفكرة من احد السامريّين... وهناك ايضًا شرح المؤلف للقب «ذي الكِفْل» الذي يدلّ به القرآن على احد الانبياء (٢١ : ٨٥ و ٣٨ : ٤٨). ولم يتمكن احد حتى اليوم من تعيين من يقابل هذا النبي في الكتاب المقدّس. حتى رجّح المؤلف ان المقصود به ايوب البارّ. ه. ل.

Richter ; Das Geschichtsbild der arabischen Historiker des Mittelalters. *in*-8°, 28 *pp.* [*Philosophie und Geschichte* ; *n*°. 43] *Tübingen J. C. B. Mohr (Paul Siebeck) M.* 1,50.

موضوعات مؤرّخي العرب في القرون الوسطى

يدرس كاتب هذا الكرّاس الموضوعات التي اهتم بها مؤرخو العرب خاصة في القرون الوسطى، وكانها ترمي الى تمجيد الشعب العربي، والدين الاسلامي. وهو يذكر من اشهر الممثلين لهذه النزعة الطبري واليعقوبي. يظهر الاول لسان حال السنّيين، والثاني لسان حال الشيعيين. ثم يذكر الكاتب ابن خلدون الذي

توسع في مقدمته بمبادئ فلسفة التاريخ · على انه لم يظهر احد فيخلفه في عمله· بل هو انه نفسه لم ينتبه في تاريخه العام للمبادئ التي اقرّها في المقدمة. ه. ل.

Félix Vernet : Les Ordres mendiants. [*Biblioth. Cathol. des Sciences Religieuses, n° 54*]. *in-12 de 232 pp.* 12 *f*. *Bloud et Gay. Paris*, 1933.

رهبنات السائلين

في الكنيسة الكاثوليكية عدد من الرهبنات تُعرف «بالرهبنات السائلة». وقد شاء المؤلف ان يدرسها، ويطلع الناس على ما اختصت به من روح ونظام، وعلى ما افادته الكنيسة من تجديد. فوضع هذا الكتاب، مقدّماً اجماليات في الرهبنات المذكورة، مشيراً الى الصعوبات التي قاستها كل منها في سبيل الحياة، خاصاً، بعد ذلك، كل رهبنة بفصل يدرس فيه نشأتها وتاريخها حتى يومنا، ويدلّ على حياتها العقلية والروحية والخارجية؛ خاتماً الكتاب بفصل يعيّن فيه المركز الذي تحتلّه هذه الرهبنات في الجماعة المسيحية، وقد رمزت الى هذا المركز تلك التماثيل العظيمة الممثّلة قدّيسيها ومؤسسيها، والتي قامت بشكل حرس مزدوج في كنيسة القديس بطرس في رومة العظمى، من الباب حتى ايقان الرسول الذي بنى عليه السيد المسيح كنيسته.

Hans Schmidt : Der heilige Fels in Jerusalem. 1 *vol. in-16 de VIII+ 102 pp. accompagnées de plans et de 8 gravures. J. C. B. Mohr, Tübingen*, 1933.

الصخرة المقدسة في اورشليم

ان اعتقاد الناس الجاري ان موقع الصخرة القائمة في جامع عمر في اورشليم يوافق موقع المذبح في هيكل سليمان. وقد شاء المؤلف ان يبرهن، خلافاً لهذا المعتقد الجاري، ان الصخرة المذكورة تحلّ محلّ قدس الاقداس. وهو يستند في ذلك الى درس دقيق للصخرة وما يفيده التاريخ عن هيكل هيرودوس، وهيكل زربابل، وهيكل سليمان، مما يدلّ على اطلاع واسع ومقدرة على استغلال كثير من البراهين القيّمة؛ ولكن هل من الممكن الوصول الى اليقين في موضوع كهذا؟ ب. م.

Museum Lessianum : Section missiologique, *n*° 11, 14, 16, 18, *Louvain, Belgique*.

ابحاث في الارساليات

هذه اربعة اجزاء تمثل الاسابيع الاربعة التي اجتمع فيها مندوبو المرسلين في لوڤان في السنوات ١٩٢٩ و١٩٣٠ و١٩٣١ و١٩٣٢، وعناوينها : العقبات في سبيل التبشير – الاهتداءات – بعد الاهتداء – العمل الكاثوليكي في الارساليات . وقد جمعت هذه المجلدات ما تداول بــه المرسلون القادمون من جميع انحاء العالم، فكان فيها نتيجة اختباراتهم المتنوّعة، ومحط آمالهم الواسعة، وزبدة ملاحظاتهم الثمينة حتى اصبحت كنزاً لا تستغني عنه اي مكتبة شاءت ان تقف على حركة الارساليات الدينية.

وان ما نراه خليقاً بالذكر في المجلد الاول «العقبات في سبيل التبشير» بعض آراء تهمّ مناطق البحر المتوسّط كالابحاث في الصهيونيــة، والاسلام في بلاد الجزائر، وفي سورية، والحالة في تونس . وفي المجلد الثاني بحثان عامان عن احصاء الاهتداءات، وعن حالــة المجموع الاسلامي في الجزائر خصوصاً . وهناك في المجلــد الرابع نظرات تُذكر في التعليم المسيحي بواسطــة الغناء والتصوير . مع تقرير مفيد عن القبائل الاشورية والطرق التي قام بتبشيرها بها المرسلون الدومنيكان.

ج. ل.

Nogues (R.) : Cours de mathématiques spéciales sous forme de problèmes. *in-8° de 394 pp. Prix : 32 f*. *Nouvelle édition. Paris, Librairie Vuibert.*

درس في الرياضيات الخاصة على طريقة العمليات

ان جميع العمليات الرياضية المحلولة في هــذا الكتاب تتعلّق كلها ببرنامج الرياضيات الخاصة (من جبر خاص، وهندسة تحليلية، وميكانيك، وهنـدسة تصويرية). وهي تعمل على افهام الطريقة الرياضية بواسطة تطبيقها، وتفيد فائدة جليلة من يدرسون وحدهم من الطلاب ومن لا يتمكنون من متابعة الدروس المذكورة الا بالمراسلة.

P. Chenevier ; Cours de Mécanique (*classe de Mathématiques*) *in-8°, broché* : 15 *f*s. *Hachette, Paris*.

درس في الميكانيك

هو آخر حلقة ظهرت من مجموعة كادت تتمّ لمواد الرياضيات التمهيدية في صفوف التعليم الثنوي . وهو مكتوب باسلوب شخصي جزيل الفائدة لا لمن اراد من الطلاب ان يصل الى البكالوريا فحسب ، بل لمن شاء ان يستفيد تلك الثقافة العقلية المنظمة التي توليها الدروس الرياضية .

Sœur Marie Germaine : Le Christ au Gabon. [*Museum Lessianum, section missiologique, n° 15*] *in-8° de* 170 *pp. Prix* : 20 *f*s. *Louvain*, 1931.

المسيح في الغابون

هو وصف لارسالية في افريقية يبدو باسلوب رشيق من قلم راهبة مرسلة من الراهبات المعروفات « بالراهبات الزرق » . ولا يخفى ما يكتنف تلك الارسالية من الصعوبات وما يحييها من الامل الذي يفوق كل شيء ويبشر بالمستقبل الزاهر .

Georges Cront : La lutte contre l'hérésie en Orient jusqu'au IXe siècle. Pères, Conciles, Empereurs. *in-8° de* 200 *pp.* 25 *f*s. *Paris, Les Editions Domat-Montchrestien.*

مقاومة الهرطقة في الشرق حتى القرن التاسع

يبحث هذا الكتاب في موقف السلطات الدينيّة والمدنيّة من الهرطقة حتى القرن التاسع ، فيتناول جميع تلك المظاهر على طريقة قد يكون فيها شيء من تجاوز الحدّ في اقرار التقسيم والترتيب حتى ان المؤلف يجبر نفسه على تمييز العصور المختلفة وذكر آراء آباء الكنيسة والمجامع والاباطرة في حركات كل منها . على ان النتيجة تسدّ ما يبدو في هذا التقسيم من الثلم . وقد لا نكون بحاجة الى القول ان الكتاب نظريّ محض اي ان المؤلف لا يهمّ الا بعرض

النصوص صارفاً النظر عن تطبيقها،وهو امرٌ يتطلّب درساً خاصاً فلحقاً للكتاب الحاضر. على ان هذا ينال غايتـه باسلوب سهل يدلّ على جهـد المؤلف الموضوعي. كما تدلّ سلسلة المآخذ على الجدّة في الموضوع. مما يجعل الكتاب جزيل الفـائدة لكل من يهمه درس ذاك العصر، عصر الآباء، من تاريخ الكنيسة. ج. ل.

Jos. **Van Oost** : Monseigneur Bermyn apôtre des Ortos [*Museum Lessianum, section missiologique*. n° 17] *in-8° illustré de* 156 *pp. Prix* : 18 /*s*. *Louvain* 1932.

المنسنيور برمين رسول الارتوس

كتاب لذيذ السرد شائق الاسلوب يصف ما لاقاه احد المرسلين منذ السنة ١٨٧٨ في بلاد المغول، وكيف اصبح رئيساً لتلك الارسالية،فاسقفاً، وما قام به من اعمال، وما وصل اليه من نتائج باهرة في تلك المنطقة القاحلة من فائدة للاهلين وتحسين في البلاد.

الكنيسة عروس يسوع المسيح

محاضرات الخوري تيوفانس شار

مطبعة القديس بولس في حريصا ١٩٣٣، ص ٢٦٥، ق ٨

استبشرنا العام الماضي (ص ١٥٦) بظهور المحاضرات على يسوع الملـك، وهوذا بين يدينا كتاب آخر وهو تتمة للاول، يشابهه اسلوباً وقلباً وقالباً، وفيه ١٩ محاضرة يضمّ مجموعهـا اهم تعاليم الكنيسة الكاثوليكية في اصل الكنيسة وعلاماتها، ونظامها، واعمالها، وحياتهـا. فالشكر كل الشكر للكاهن والواعظ الغيور على ما انتجه في جهوده من آثار خلاصية سوف يستفيد منها الكثيرون.

وفيما نحن في وصف محاضرات الاب تيوفانس المحترم خطر على بالنـا ان نراجع في زوايا المكتبة طبقات ما وضعه الوعاظ الافرنج واخصهم الافرنسيين في مثل ما قرأناه في كتابَي المؤلف فلم نلبث ان تحققنا الصلـة والقرابة بين

الاب مونسابره والسيد بسون وصاحب كتابي « يسوع الملك » و« الكنيسة عروس المسيح » ، وان تلك القرابة ليشفّ عنها حتى اسلوب الانشاء وحركته وانسجامه ، وكنا نودّ لو ان الواعظ العربي اشار الى المصادر ، فيكون قد زاد فضلًا على افضاله بتوسيع مجال المراجعة والبحث لقرائه ووفاء من اخذ عنهم حقهم .

لا ادري متى يأتي دور تاريخ المنبر المسيحي في سلسلة ما يكتبه المؤلفون على الاداب العربية . ولعل التحقيق في هذا الباب سوف يؤدي الى الاقرار اننا لفيه مدينون كثيرًا للافرنج كما في ابواب كثيرة من الادب الحديث (راجع ما ظهر في المشرق عن مظاهر الادب العصري في آب وايلول الماضي) على ان حضرة الاب تيوفانس استعان بالافرنج ولم يُستعبد لهم فيما اخذه عنهم بل اتى بالمبتكر عبرًا واقوالًا من تاريخ الشرق عامةً وكنائسه خاصةً ومن مشاكله الحالية ، وان ذلك مما ينبه السامعين ويزيد الكلام رونقًا ولذةً .

ف . ت .

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب ، ومنتخبات من اشهر اعلامه

بقلم فؤاد افرام البستاني

السلسلة الثالثة : ٦٤٠ ص . قطع ١٢ ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

٢١ : ناصيف اليازجي : منتخبات شعرية في الدينيات ، والحكميات ، والمراثي ، والتعازي ، والمدائح ، والوصف ، والتشكي . ونقد الاستاذ البستاني الشيخ ناصيف ، بعد ان لخص حياته ، في ما رواه عنه من الشعر ، وهو ناحية من شخصية احد زعماء النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، فاصاب . على ان القول الفصل في قيمة الرجل وقوة تأثيره سوف لاينجلي الا بعد مرور الاحقاب لان البعد في الزمان شرط لا بد منه للاحاطة بموضوع النقد من كل وجوهه .

٢٢ : بطرس البستاني : ومن آثاره تعليم النساء ، وآداب العرب . وهو اول من الف قاموساً عربياً مطولًا وابتدأ بمشروع دائرة المعارف باللغة العربية ، واليه

ينسب الاستاذ فؤاد . فقرّظ فيه البساطة والتواضع في الاستشارة والنصائح وصدق العاطفة ولين العريكة. فنعم التقريظ !

٢٣ : ولي الدين يكن . ومن منتخباته اقوال في السياسة والاجتماعيات والادبيات والشخصيات . شعرًا ونثرًا . ويكن مثال لمن جاهد في العصر الحميدي ليكسر نير العبودية ، وذهب ضحية الغباوة ، وفي نفسه اباء وعظمة اسدل الحزن عليها سدوله فطمس معالمها ، ولعل المتشائمين من كل زمن يتعزّون بمطالعة الصحائف السود ، فهي على ما فيها من غلو في التأثر لتجد صداها في القلوب المكتئبة.

ثم الحلقات التالية :

٢٤ : طرفة ولبيد ـــ ٢٥ : زهير بن ابي سلمى . ـــ ٢٦ : عمرو بن كلثوم والحرث بن حلزة ـــ ٢٧ : عنترة بن شداد ـــ ٢٨ : الخنساء ـــ ٢٩ : الحطيئة ـــ ٣٠ : النابغة الذبياني.

ترجم المؤلف لكل من هؤلاء الاعلام ، فتكلّم على حياته وآثاره والمصادر العربية والاوربية التي يرجعون اليها في شؤونه . ونقده النقد الادبي المدرسي المفيد ، وشرحه.

ختمنا كلامنا على سلسلتي الروائع الاولى والثانية في مشرق سنة ٢٩ ، ص ٤٧٨ ، مستبشرين بنجاح الكتاب مما كنا نعرفه من اقبال القراء على اقتنائه . وان هذا الاقبال لا يزال متواصلًا حتى نفدت طبعة بعض الحلقات واعيدت بمدة سنوات قلائل . وكفانا ذلك شاهدًا على تقدير الادباء الكتاب حق قدره . وقد ساعد على نجاح الروائع اجتهاد الطلبة في سبيل الحصول على البكالوريا، وواضع الروائع اجمالًا انما هي من صميم المواد المفروضة في البرامج التعليمية الثانوية سواء ذلك في لبنان وسورية او في مصر . واسلوب تأليفها مدرسي مقتضَم ، واضح . ولا عيب فيها الا استبطاء الطلبة ظهورها . فنتمنى ظهور سلسلة بكاملها في كل سنة حتى لا تمضي السنوات الا وتكون روائع الادب العربية قريبة المنال من الجميع قيمةً ادبيةً ومادية...

ومما يدل على تأثير اسلوب « الروائع » في الحركة الادبية ان بعضهم

حاولوا حذو الاستاذ البستاني في التـأليف ، بالاكثار من نشر « الكراريس » ظناً ان الناس سوف يقبلون عليها اقبـالهم على « الروائع » . ولكن وقوف حركة تلك النشرات في مهدهـا بينت ان تحقيق المشروع لاصعب من ان يقوم به من شاء .

فالجو للروائع لا يزال فسيحاً ، وعلى بركة الله ! ف . ت .

تاريخ الامير بشير الكبير

جزءان في ١٥٠ + ١٢٤ ص . متوسطة – مطبعة جريدة العلم ، بيت شباب ، ١٩٣٣

يمثل هذا الكتاب ملحقاً لتاريخ الامير بشير المكتوب بقلم الامير حيدر الشهابي . وقد اكتشف مخطوطته حضرة الخوري بولس قرالي في مكتبة حضرة القس بطرس بدر حبيش ، فنشرها ملخصاً فيها ما ظهر بالطبع من تاريخ الامير حيدر ، تاركاً بنصه ما زاد على موادّ الطبعة المصرية من ذاك التاريخ . وقد قدّم عليها درساً في المخطوطة ومؤلفها جرّه الى القول ان المؤلف هو الامير حيدر نفسه ، فاتى بمادّة صالحة لتاريخ لبنان على عهد الشهابيين .

سلّم اللسان في الصرف والنحو والبيان

تأليف جرجي شاهين عطيّه

الدرجة الخامسة ، ٢٢٢ ص . صغيرة – مكتبة صادر ، بيروت ، ١٩٣٣ – الثمن : ١٠ فرنكات ونصف .

انجزت مكتبة صادر طبع الدرجة الخامسة من هذا الكتاب الذي اشرنا الى درجاته الاربع في ما تقدّم من المشرق (٣٠ [١٩٣٢] : ٣٧٨ و٧١٨ و٨٧٨) وهذه الدرجة مختصة بقواعد البيان والمعاني والبـديع على اسلوب لا شكّ في انه يسهّل على الطلاب هذه القواعد الصعبة .

✱ خلاصة اعمال شركة القديس منصور دي بول في بيروت عن سنـة ١٩٣٣ ✱ ٦١ ص . صغيرة – المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٣٣ – فيهـا خلاصة اعمال الجمعيـة بفروعها التسعة في بيروت ؛ ثم اعمال الجمعيات في زحلة ، ومعلقـة زحلة ، وحمانا ، وكترملوان ، وبكفيـا ، وحوش حـالا ، ورياق ، واسكلة طرابلس ، والبترون ، والاسكندرونة .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ايلول — ١٥ ت ١ ١٩٣٣

لبنان وسورية — وصل الى بيروت الكونت دي مارتل المعيّن مفوّضاً سامياً للجمهورية الفرنسوية في سورية ولبنان، وباشر زيارة المناطق المنتدَبة.

* رسم غبطة بطريرك السريان الكاثوليك، في دير الشرفة، الخورفسقفوس جرجس ستيته رئيس اساقفة على ابرشية دمشق، والخورفسقفوس يوحنا حبي اسقفاً على اورم شرفاً ونائباً بطريركياً في الجزيرة العليا.

* عيّن الكرسي الرسولي سيادة المطران مكسيموس صائغ متروبوليتاً لبيروت وجبيل وتوابعهما على طائفة الروم الكاثوليك.

* اهدي وسام الاستحقاق اللبناني الممتاز الى صاحب الجلالة ملك مصر.

* زارت بيروت جلالة امبراطورة الحبشة مع كريمتها الاميرة صاهاي ونجلها الامير ماكونن

مصر — استقالت وزارة اسماعيل صدقي باشا. وقد خلفتها وزارة برئاسة عبد الفتاح يحيى باشا (الخارجية) وعضوية احمد علي باشا (الحقانية) ومحمد نجيب الغرابلي باشا (الاوقاف) ومحمد حلمي عيسى باشا (المعارف) وابراهيم فهمي كريم باشا (المواصلات) ومحمود فهمي القيسي باشا (الداخلية) وعلي المنزلاوي بك (الزراعة) وصليب سامي بك (الحربية والبحرية) وعبد العظيم راشد باشا (الاشغال) وحسن صبري بك (المالية).

فلسطين — توفي صاحب النيافة السيد ريشار بارتولوني القاصد الرسولي في مصر وبلاد العرب والحبشة والاريترة.

* اخذت بوادر المظاهرات الاحتجاجية تبدو في بعض المدن، على ان الحكومة مستعدة لقمعها بشدّة.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول: يوسف ماهر